المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة طيبة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

الدراسات العليا- شعبة اللغويات

التَّمَاسُك النَّصِّيّ فِي الْقَصَصِ الْقُرْآنِيّ

-قصة مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أنموذجًا-

مشروع بحثي لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الدراسات اللغوية تخصص علم اللغة

إعداد الطالبة

مريم بنت عبد العزيز بن أحمد الرويلي

الرقم الجامعي

(٤١٦١٥٣٦)

إشراف

أ.د/ علي القرني

أستاذ علم اللغة في قسم اللغة العربية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

العام الجامعي

١٤٤٢هـ — ٢٠٢١م

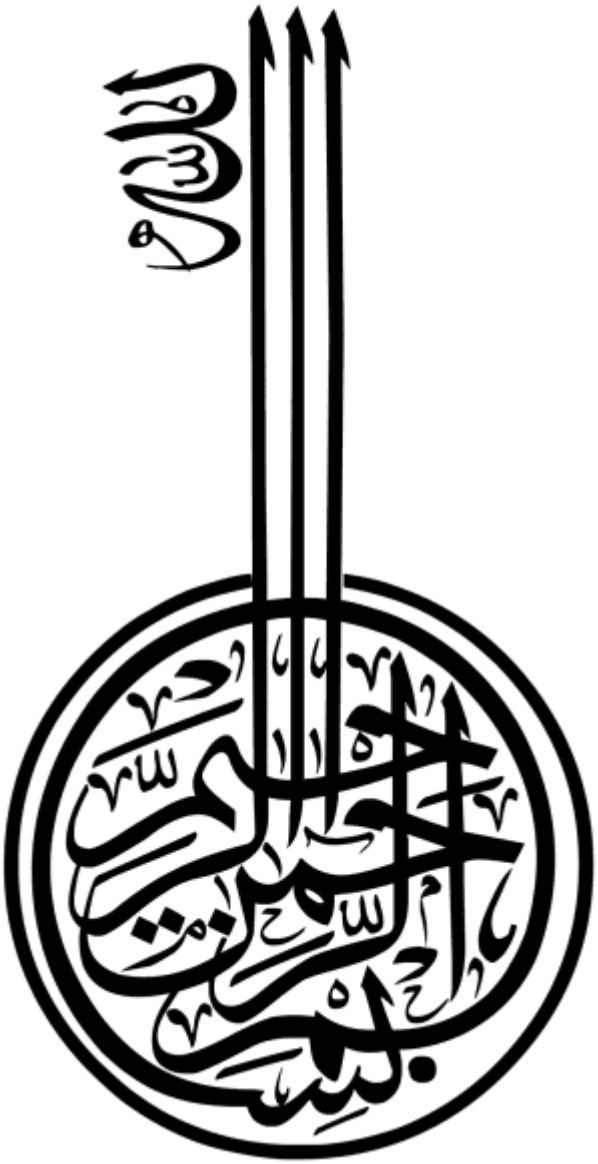
بسم الله الرحمن الرحيم

شُكْر وَتَقْدِير

"كل أمر ذي بالٍ لا يبدأ فيه بالحمد فهو أقطع" ﷺ.

فالحمد لله الذي سخر لي السبل أولًا وآخرًا، الحمد لله الذي لولاه ما كنت شيئًا يذكر، ثم الشكر لأصحاب الفضل بعد الله:

إلى ذي العماد من كان وتدي في زمن التردد؛ والدي العظيم عبد العزيز.

إلى ذات الرجع من كانت غيثي في مواسم الجفاف؛ والدتي العظيمة حياة.

إلى كواكبي الثمانية من شاركوني سنواتي السمان والعجاف من أنارت وأعتمت دواخلنا معًا، وما زلنا نضيء.

إلى من ساقها الله إلى أرضي الجُرز؛ صديقتي العزيزة التي لم تدخر جهدًا في نصحي وتشجيعي كلما وهن العزم مني.

إلى ذي المرة السوي؛ من أمد البحث بالقوة وكان خير العون في التوجيه والإرشاد الأستاذ الفاضل علي القرني.

والشكر موصول لعضو لجنة المناقشة الدكتور الفاضل حمدي الهدهد من تكرم بقراءة هذه الدراسة، سائلة المولى الغني من أفقر العباد إليه أن يثقل بما قدم ميزان حسناته، ويرزقه جوار بيت نبيه على الصلاة والسلام ما حيي.

وأخيرًا أتقدم بالشكر لجامعة طيبة، التي أتاحت لي فرصة الدراسة بها، وإكمال مسيرتي الأكاديمية منها، وأسهمت في تذليل الصعوبات وتقديم التسهيلات ما أمكنها، فأنتم الواهبون ونحن الآخذون، وإلى كل من بسط لي كفيه وقت الحاجة، فاللهم هذا الجهد وعليك التكلان، وهذا الجهد ومنك التوفيق، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات

المحتوى	رقم الصفحة
المقدمة	١
التمهيد	٨
المطلب الأول: مصطلح التماسك النصي من البساطة إلى التركيب	٨
المطلب الثاني: القصة القرآنية	١٤
المبحث الأول: التماسك الشكلي	٢٠
المطلب الأول: الإحالة	٢٠
الإحالة بالضمائر	٣٧
الإحالة بأسماء الإشارة	٥٣
الإحالة بالموصولات	٦٤
الإحالة بتعليق شبة الجملة	٦٨
المطلب الثاني: الحذف	٧٢
المطلب الثالث: الاستبدال	٨٥
المطلب الرابع: الوصل	٩٢
المطلب الخامس: التكرار	٩٦
المطلب السادس: المصاحبة المعجمية	١٠٦
المبحث الثاني: التماسك الدلالي	١٠٩
المطلب الأول: الإجمال والتفصيل	١١٢
المطلب الثاني: السياق	١١٧
الخاتمة	١٥٠
المراجع	١٥٣

المستخلص

عنوان البحث: التماسك النصي في القصص القرآني قصة مريم عليها السلام أنموذجًا.

اسم الباحثة: مريم بنت عبد العزيز أحمد الرويلي.

موضوع البحث: يتناول البحث التماسك النصي بشقيه الشكلي والدلالي في قصة مريم عليها السلام في القرآن الكريم.

- خطة البحث: المقدمة: وفيها تقديم عن الموضوع، وأهميته، وتساؤلاته، وأهدافه، ومنهج البحث، وتقسيماته.
- التمهيد: ويضم عرض لمصطلح التماسك النصي من البساطة إلى التركيب، وتقديم لمفهوم القصة القرآنية وأبرز خصائصها وعناصرها.
- المبحث الأول: يتناول التماسك الشكلي ويضم عدة مطالب:

المطلب الأول: الإحالة بأقسامها ووسائلها.

المطلب الثاني: الحذف.

المطلب الثالث: الاستبدال.

المطلب الرابع: الوصل.

المطلب الخامس: التكرار.

المطلب السادس: المصاحبة اللغوية.

- المبحث الثاني: يتناول التماسك الدلالي ويضم مطلبين:

المطلب الأول: العلاقات الدلالية: علاقة الإجمال والتفصيل.

المطلب الثاني: السياق.

- الخاتمة وتضم أهم النتائج.
- قائمة المراجع.

المقدمة

الحمد لله القائل في محكم كتابه:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(يوسف:٣)، الحمد لله خالق الألسن واللغات، هادي البصائر بالدلالة، الحمد لله بارئ الأنام الذي علمنا البيان، وأكرمنا بنعمتي العقل واللسان، وملأ الضمائر بالجلالة بعد الجهالة، والصلاة السلام على نبينا مُحَمَّد الذي استمسك بما أوحي إليه، وأحيا به القلوب، وعلى آله وصحبه أكرم بهم أنصارًا وأعوانًا، وبعد:

فإن الإنسان بطبيعته كائن معرفي، يسعى دائمًا لاستكشاف آيات الحقيقة، وقد ابتكر أنواعًا من التفكير قاصدًا التطور والتجديد، وما لسانيات النص إلاّ حلقة من حلقات هذا التطور الفكري، وقد فطن له المشتغلون بعلوم اللسان منذ قديم الأزل، فاللسانيات في القديم تمحورت حول الجملة، كونها أكبر وحدة تحليلية، إلا إن علماء النص حاولوا توسيع دائرة التحليل اللساني؛ وصولًا للنص الذي يعد أكبر وحدة لغوية، فهم بذلك وصلوا لأنضج ما يمكن أن يصل إليه الفكر اللساني، إذًا لسانيات النص علمٌ لم ينشأ من العدم، إنما هو نتيجة للتطور الفكري، أُذن للنظرية بالكشف عن مكنونها بكونها نظرية مستقلةً على يد علماء النص الغربيين، آخذين من الجملة نواةً لنظريتهم، لتمد الباحث برؤية شاملة ودقيقة حول النص وطريقة إنتاجه وفهمه[١]، وما أن ظهرت النصية التي أخذت من الجملة نواة لها حتى انتقلت مصطلحات الجملة كـ(النحو) لتصبح (السبك) في مصطلحات النص، ويقول في ذلك بحيري "والحق أننا لا نزال ننقل مصطلحات الجملة، ونضفيها على النص، وليس في هذا تمييز له، بل إن ذلك الأمر يقوي التداخل بينهما"[٢]،وهذا مما يضفي القوة للنصية؛ لاحتوائها على النحو التقليدي.

---

(١) لمتابعة التطور الذي صاحب الدراسات النصية حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، ينظر: علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، (١١-٢٦).

(٢)علم لغة النص –المفاهيم والاتجاهات–، سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان والشركة المصرية العالمية للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، (١٠٤).

ولعل من أسباب استيقاظ أنظار علماء اللسان المحدثين إلى فكرة نحو النص، هو ما اعترى الدرس اللساني في مطلع القرن العشرين من عزوف عن المعالجة الفونولوجية، والالتفات عنها إلى الوظيفة الاجتماعية للغة ودورها التواصلي[١].

وأُرخ لظهور علم اللغة النصي بشكل تدريجي في النصف الثاني من الستينيات[٢]، والنصف الأول من السبعينيات[٣]، إلا إنه لم تكتمل ملامحه واستقلاله عن غيره من العلوم التي يتداخل معها تداخلًا شديدًا إلا في السنوات الأخيرة من القرن العشرين[٤] على أصح تقدير، وقد تمثلت المرة الأولى على يد هاريس في محاولته من خلال مقال "تحليل الخطاب"، ثم هاليداي الذي قدم أعظم عمل في تحليل الخطاب البريطاني وغيَّر مفاهيم كثيرة في المدرسة اللغوية[٥]، ثم توالت جهود الغربيين في علم اللغة النصي؛ إذ "حقق علم النص تطورًا هائلًا في العشرين سنة الأولى من وجوده، وأفضى إلى إدراكٍ جوهريٍ لبناء النصوص وتماسكها في علاقات ممتدة؛ لكن ارتبط بذلك أيضًا تجاوز الحدود اللغوية الصارمة، وتوسيع رقعة علم اللغة في اتجاهات مختلفة، حتى إن نقاده يتهمونه بالتطور في اتجاه "علم شامل" لا بد أن يفضي حتمًا إلى "غموض" زائد في مفاهيمه المتخصصة وفي إجراءاته"[٦].

وأهم أساس قام عليه علم اللغة النصي هو تجاوز حدود الجملة في تحليل اللغة، وعلى الرغم من عدم إجماع العلماء عليه، إلا إنه حقق تطورًا قياسيًا، وأصبح ميدانًا يقصده الباحثون؛ لحداثة المنهج، واتساعه، وتداخل

---

(١) ينظر: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح، ضمن الكتاب التذكاري للأستاذ عبد السلام هارون، جامعة الكويت، ١٩٩٠م، (٤١٠).

(٢) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس (نحو النص)، مُحَمَّد الشاوش، كلية الآداب منوبة، تونس، بالاشتراك مع المؤسسة العربية للتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م،(٧٩)، التحليل اللغوي للنص –مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج–، كلاوس برينكر، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م،(٢٣).

(٣) علم اللغة النص، سعيد حسن بحيري، (١).

(٤) الإحالة وأثرها في تماسك النص القرآني، أنس الفجال، نادي الأحساء الأدبي، الأحساء، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م،(٢١).

(٥) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق –دراسة تطبيقية على السور المكية–، صبحي الفقي، دار قباء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ٢٠٠٠م (٢٣).

(٦) مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ترجمة: فالح العجمي، جامعة الملك سعود، سلسلة اللغويات الجرمانية، الكتاب رقم (١١٥)، ١٤١٩هـ،(٧).

المناهج والمعارف لخدمة عملية التحليل النصي، فقادهم الاتجاه في علم اللغة النصي إلى "دَكِّ الحواجز التي أقيمت بين علم النحو وعلم البلاغة، بل وعلم النقد وعلم الشعر أيضًا، لا رغبة في توسيع مجال البحث اللساني ودعم اللسانيات التطبيقية خاصة، وإنما إغناءً للنظر وإقرارًا بأن كثيرًا من مسائل التفكير في اللغة وقضايا التقعيد استعمالاتها لا يستقيم إلا بالاحتكام فيها إلى أحوال الكلام بمختلف مظاهرة"[١].

وهذا التداخل يجمع الخواص التركيبية والدلالية والاتصالية ويصوغ خواص المنهج الجديد في المستويات النحوية والدلالية والتداولية (البراغماتية)، لتتداخل بذلك مع علوم البلاغة، وأضاف إليها علم النص علومًا لم تخلق لأجله مثل علم النفس وعلم الاجتماع؛ ولعل هذا سبب عدم الاستقرار في علم اللغة النصي فهو يجمع بين عناصر لغوية وعناصر أخرى غير لغوية.

فمن القضايا التي اهتم بها علم اللغة النصي قضية التماسك النصي؛ بوصفه مقياسًا لكون الكلام نصًا، ووضعوا له معايير تميز النص من اللانص، وهي:(السبك، الالتحام، القصد، القبول، رعاية الموقف، التناص، الإعلامية)[٢]، ومن هذه المعايير السبعة ما يكون خارج النص، مثل: القصدية والقبول ورعاية الموقف والتناص والإعلامية، وما يكون داخل النص وهي: السبك (التماسك الشكلي) والالتحام (التماسك الدلالي).

وكون علم التماسك النصي علمًا غربيًا فقد شرع العرب في مشروع يحتوي "منهجًا عربيًا يراعي ظروف البيئة العربية والسياق والثقافة والمجتمع والهوية العربية، وقد بدأ هذا المشروع على يد من الباحثين من أمثال: د. تمام حسان، ود. مُحَمَّد حماسه عبد اللطيف، ود. سعد مصلوح، ود. صلاح فضل، ود. مُحَمَّد خطابي، ود. مُحَمَّد العبد، ود. سعيد بحيري" [٣].

وكون لسانيات النص ماهي إلا مزاوجة بين القديم والحديث، وما المزاوجة إلا منهج فكري، أثرت أن أقدم المزاوجة فكرةً بحثية بعنوان : التماسك النصي في القصص القرآني –قصة مريم عليها السلام أنموذجًا–.

---

(١) نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م،(٥).

(٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء، ربورت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م،(١٠٥-١٠٣).

(٣) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال،(٢٤).

في دراسة نصية تطبيقية باختيار نص قصصي من القرآن الكريم تطبيقًا لحلقة الوصل بين علوم القرآن واللغة الخاصة بالعرب ولسانيات النص عبر التماسك النصي، فقد شغل القصص القرآني أكبر جزء من كتاب الله تعالى لتحقق أهدافًا وغايات شتى، وعلى الرغم من أنه نص مفرق، بنزوله وبتوزيع القصص على أكثر من سورة إلا أنه كالسورة الواحدة، وهذا أحد الأهداف التي أسعى لإثباتها.

فبرزت بذلك أهمية البحث؛ بأهمية ما ارتبطت به وهو النص القرآني، وكما أن البحث في التماسك النصي وتطبيقه على نص قرآني يعد من الدراسات البينية التي تصل العلوم بعضها ببعض، فهو بذاته علم متداخل التخصصات.

ويتلخص البحث في الإجابة عن عدة تساؤلات تندرج تحت سؤال عام هو: كيف يظهر التماسك النصي في القصص القرآني في قصة مريم عليها السلام؟، والذي تتفرع منه عدة أسئلة، وهي:

١- ما مفهوم التماسك النصي؟

٢- ما مفهوم القصة القرآنية؟ وأبرز خصائصها وعناصرها؟

٣- ما دور وسائل التماسك الشكلي في تماسك قصة مريم عليها السلام؟

٤- ما دور وسائل التماسك الدلالي في تماسك قصة مريم عليها السلام؟

وقد تمثلت حدود الدراسة في دراسة التماسك النصي في حدود قصة مريم عليها السلام في القرآن الكريم، في كل من سورة (آل عمران، مريم، الأنبياء، المؤمنون، التحريم).

محققًا مجموعة من الأهداف، منها:

١- تمثيل المنهج الفكري المتمثل بالمزاوجة، وبيان حلقة الوصل بين علوم القرآن ولسانيات النص.

٢- الوقوف على قصة مريم عليها السلام من خلال القرآن الكريم، وبيان مدى تماسكها كونها قصة ذكرت في سور عدة.

٣- إثراء الجانب التطبيقي للدراسات النصية التطبيقية للقصص القرآني.

٤- شرف البحث والكشف عن أسرار النص القرآني وإبداعه اللغوي.

ومن أهم الدراسات التي تناولت التماسك النصي في القصص القرآنية:

- من مظاهر التناسب الدلالي والترابط النصي في قصة صاحب الجنتين –محاولة لبناء منهجية تكاملية للتحليل الدلالي لبنية النص في القصة القرآنية–، حمدي صلاح الهدهد، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، المجلد: ٢، العدد: ١، ٢٠١٤م.

- التماسك النصي في القصص القرآني: قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام أنموذجًا، أحمد إبراهيم ندا، ورضا عبد العزيز، بحث في مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، المجلد الرابع، جامعة المجمعة، الرياض، السعودية، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٣م.

- من مظاهر التماسك النصي في القصص القرآني، زيد شهاب العامري وهشام سليمان اليوسف، بحث في مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية،١٤٣٥ هـ، ٢٠١٤ م.

- التماسك النصي في القصص القرآني: دراسة لغوية تحليلية، أسماء رأفت مُحَمَّد علي، رسالة دكتوراه، جامعة الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٧م.

- الترابط النحوي النصي في القصص القرآني، سورة النمل نموذجًا، أمين عبد الغفار، رسالة دكتوراه، جامعة المنيا، مصر، ٢٠١٥م.

- الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس محمود فجال، رسالة دكتوراه، جامعة صناء، اليمن، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

- التماسك النصي في القصص القرآني دراسة تطبيقية على قصة موسى عليه السلام، عز الديم هبيرة وآمال لواتي، رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، ٢٠١٧م.

واعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي متمثلًا في وصف الظواهر وتحليلها؛ والاستعانة بكل من المنهج الإحصائي لإبراز دور كل وسيلة من وسائل التماسك النصي، والمنهج التاريخي للاستعانة بمكان نزول النص قرآني، وفق إجراءات عدة منها:

- استقراء الآيات القرآنية، وتتبع مواضع ورود قصة مريم عليها السلام، وحصرها.
- توجيه الآيات توجيهًا نصيًا بما يخدم موضوع الدراسة.
- تطبيق وسائل التماسك النصي على قصة مريم عليها السلام.

واقتضت طبيعة الدراسة أن تكون في مبحثين تضم مطالب عدة، يسبقها مقدمة وتمهيد؛ يحوي مطلبين، ويتبعها خاتمة وقائمة مراجع، والتقسيم إلى مستويات ليس من باب الفصل فالدراسة النصية بنية كلية، وإنما للتمييز بين الأنواع، فكان تقسيم الدراسة على النحو الآتي:

- المقدمة: وتضم تقديم عن الموضوع، وأهميته، وتساؤلاته، وحدوده، وأهدافه، ومنهج البحث، وتقسيماته.
- التمهيد: ويضم مصطلحات التماسك النصي، وتقديم لمفهوم القصة القرآنية وأبرز خصائصها وعناصرها.
- المبحث الأول: يتناول التماسك الشكلي ويضم مطلبين:

  المطلب الأول: الإحالة بأقسامها ووسائلها.

  المطلب الثاني: الحذف.

  المطلب الثالث: الاستبدال.

  المطلب الرابع: الوصل.

  المطلب الخامس: التكرار.

  المطلب السادس: المصاحبة اللغوية.
- المبحث الثاني: يتناول التماسك الدلالي ويضم مطلبين:

  المطلب الأول: العلاقات الدلالية: علاقة الإجمال والتفصيل.

  المطلب الثاني: السياق.
- الخاتمة وتضم أهم النتائج.
- قائمة المراجع.

وأخيرًا: الحمد لله الذي ذلل لنا السبُل، ويسر لنا الصعاب، ومنها ما صعب علينا من اختلاف الترجمة، فلما كانت النهاية واختلجت النفس تذكرت ما قاله الأصفهاني: " إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو كان غير هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أجمل ولو ترك هذا لكان أفضل"، فهدأت النفس، وغُفر لها ما سقط منها بإذن الله، وعذرت عن الوصول إلى الكمال، وإن نال على الرضى، فالحمد الله المتفرد بالكمال.

التمهيد

المطلب الأول: مصطلح التماسك النصي من البساطة إلى التركيب:

أولًا: التماسك:

مفهوم التماسك –لغةً: ذكر في المعاجم معانٍ عدة في اللغة منها: الصلابة، كما في مقاييس اللغة: "الميم والسين والكاف أصل واحد صحيح يدل على حبس الشيء أو تحبسه... والمسكة من البئر: المكان الصلب الذي لا يحتاج إلى طي، وهو القياس؛ لأنه متماسك"[١]، ومنها ضد التفكك، كما في أساس البلاغة: "أمسك الحبل وغيره، وأمسك بالشيء ومسك وتمسك واستمسك وامتسك... وفلان يتفكّك ولا يتماسك، وما تماسك أن قال ذلك: وما تمالك، وهذا حائط لا يتماسك ولا يتمالك. وحفر في مسكة من الأرض: في صلابة"[٢]، ومنها كذلك الترابط كما في تاج العروس: "وفي صفته ﷺ بادن متماسك أراد أنه مع بدانته متماسك اللحم ليس مسترخيه ولا منفضجه، أي أنه معتدل الخلق، كأن أعضاءه يمسك بعضها بعضًا"[٣]، وعلى هذا سائر المعاجم مادة التماسك توحي بالصلابة والشدة وترابط الأجزاء بعضها ببعض.

اصطلاحًا: هو مصطلح مترجم عن الكلمة الإنجليزية (Cohesion)، ولاختلاف التحديات التي تواجه المجتمع العربي من مواكبة المصطلح الغربي، من ضبط اللفظ لقواعد التعريب الخاصة بالعربية واختلاف الوسائل والبحث والجهد الفكري في عملية ترجمة المصطلحات إلى العربية، فقد وقع في ترجمته اختلافات منها:

التماسك: وهي ترجمة فالح العجمي من المصطلح الألماني(kohasion)[٤]، وترجمة تمام حسان[٥]، وترجمة الأزهر الزناد[٦]، والترابط: وهي ترجمة محمود فراج[١]، وترجمة مُحَمَّد مفتاح[٢]، والربط النصي أو الترابط النحوي: وهي

---

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٥/٣٢٠-٣٢١)، (م س ك).

(٢) أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، مُحَمَّد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م، (٢/٢١٣)، (م س ك).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، طبعة الكويت، الطبعة الثانية، (٢٧/٣٣١)، (م س ك).

(٤) مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ترجمة: فالح العجمي، (٤٢٠).

(٥) لكنه يضيق من مفهوم التماسك، ينظر: النص والخطاب والإجراء، ربورت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان،(١٠٣).

(٦) نسيج النص، الأزهر الزناد، (٢٢٧).

ترجمة سعيد بحيري لمصطلح (kohasion)[٣]، والاتساق: وهي ترجمة مُحَمَّد خطابي[٤]، والتضام: وهي ترجمة إلهام أبو غزالة وعلي خليل[٥]، والتناسق: وهي ترجمة يوسف نور عوض[٦]، والسبك: وهي ترجمة سعد مصلوح[٧]، السبك أو الربط أو التضام: وهي ترجمة أحمد عفيفي [٨]،التماسك الشكلي: وهي ترجمة صبحي الفقي[٩].

فيما نقلوا مصطلحًا آخر، وهو (Coherence) وترجم إلى: تناسق النص: وهي ترجمة فالح العجمي من المصطلح الألماني(koharenz)[١٠]، والتناغم: وهي ترجمة محمود فراج[١١]، والالتحام: وهي ترجمة تمام حسان[١٢]، والانسجام: وهي ترجمة مُحَمَّد خطابي[١٣] وترجمة الأزهر الزناد[١٤]، والتقارن: وهي ترجمة إلهام أبو غزالة وعلي خليل[١٥]، والترابط الفكروي: وهي ترجمة يوسف نور عوض[١٦]، والحبك: وهي ترجمة سعد مصلوح[١٧]، والحبك أو التماسك،

---

(١) معرفة اللغة، جورج يول، ترجمة: محمود فرج عبد الحافظ، دار الوفاء، الاسكندرية، ١٩٩٥م، (١٤٥).

(٢) التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، مُحَمَّد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥م، (١٢٧).

(٣) علم لغة النص –المفاهيم والاتجاهات–، سعيد حسن بحيري، (١٥٢).

(٤) لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، (٤٠٩).

(٥) مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفانج دريسلر)، ترجمة إلهام أبو غزالة وعلي خليل، مطبعة دار الكتاب، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ١٩٩٢م،(١١).

(٦) علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض، (٤٩).

(٧) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، سعد مصلوح، مجلس النشر العربي، جامعة الكويت، ٢٠٠٣م، (٢٢٧).

(٨) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، (٩٠).

(٩) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق –دراسة تطبيقية على السور المكية–، صبحي إبراهيم الفقي، (٩٥/١).

(١٠) مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح العجمي، (٤٢٠).

(١١) معرفة اللغة، لجورج يول، ترجمة: محمود فرج، (١٤٦).

(١٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، (١٠٣).

(١٣) لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٤٠٩).

(١٤) نسيج النص، الأزهر الزناد، (٢٢٧).

(١٥) مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفانج دريسلر)، ترجمة إلهام أبو غزالة وعلي خليل، (١١).

(١٦) علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض، (٤٩).

(١٧) في البلاغة العربية، سعد مصلوح (٢٢٨).

أو الانسجام، أو الاتساق: وهي ترجمة أحمد عفيفي[١]، والتماسك الدلالي أو المعنوي: وهي ترجمة صبحي الفقي[٢]، والتماسك النصي: وهي ترجمة سعيد بحيري(koharenz)[٣] .

والفرق بين المصطلحين: أن الأول (Cohesion) ذو طبيعة خطية أفقية تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل، ويظهر على المستوى السطحي، والثاني(Coherence) ذو طبيعة دلالية تجريدية تظهر من خلال علاقات وتصورات تعكسها الكلمات والجمل أيضًا، ويظهر في البنية العميقة، وهو أعم من الأول [٤].

واعتمدت الباحثة على المصطلح الذي كتب له الانتشار الواسع، وهو (التماسك النصي) جامعًا بين المصطلحين السابقين؛ فالمصطلح كلما شاع على ألسن الدارسين خرج من نطاق الضيق واقترب من نطاق الاستعمال، وقد قدر لهذا المصطلح أن يصبح أكثر شيوعًا، وكما قال الغزالي: "لا تلتفت إلى الألفاظ واجتهد في إدراك حقيقة هذا الجنس"[٥].

ثانيًا: النص:

مفهوم النص: لغةً: ذكرت المعاجم معانٍ عدة في اللغة، منها: معنى الانتهاء، كما في مقاييس اللغة: "النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء"[٦]، ومنها أصل الشيء والدلالة على المعاني والأحكام كما في لسان العرب: "وأصل النص أقصى الشيء وغايته...ومنه قول الفقهاء: نص القرآن ونص

---

(١) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، (٩٠).

(٢) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، (٩٦/١)

(٣) علم لغة النص –المفاهيم والاتجاهات–، سعيد حسن بحيري (١٥٢).

(٤) ينظر: علم لغة النص –المفاهيم والاتجاهات–، سعيد حسن بحيري (١٢٣)،استخدم بحيري لفظ الآخر ليفرق بين المصطلحين (الربط النحوي والتماسك الدلالي –النصي–)؛ لأن صلاح فضل يستخدم في المتن مصطلح التماسك مطلقًا مقابل التماسك الكلي أو النصي.، ينظر: لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٦-٥)، ينظر: المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب–دراسة معجمية–، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م،(٤٥).

(٥) المستصفى، أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي، تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، (٢٦٥).

(٦) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥/ ٣٥٦)، (ن ص).

السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام"[١]، وعلى هذا سائر المعاجم مادة النص توحي بالانتهاء والارتفاع والانتهاء وأصل الشيء والدلالة على المعاني والأحكام.

اصطلاحًا: النص مفهومًا ومصطلحًا يعد غريبًا عن الدراسات النحوية العربية والغربية، وأقرب مصطلح عند القدامى إلى (النص) هو(المتن) المقابل للإسناد عند علماء مصطلح الحديث[٢]،واستعملت مصطلحات متعددة تدل على التماسك، "كمصطلح (السبك)، و(الانسجام)، و(الاتساق)، و(النظم)، و(الضم) وغيرها، بيد أن دوران تلك المصطلحات كان محصورًا في كتب البلاغة والنقد"[٣]، وقد اختلفوا في تحديد ماهية النص، فكما قال الأزهر الزناد: "فتعريف النص، مثل كل تعريف، أمر صعب، لتعدد معايير هذا التعريف، ومداخله، ومنطلقاته، وتعدد الأشكال والمواقع والغايات التي تتوافر فيما نطلقه عليه اسم "نص"[٤]، ومنها ما يرى سوينكي أنه "لكل إنسان مثقف تصور للنص مرتبطًا لغويًا بالمحيط الذي يعيش فيه، ومع ذلك يظل هذا التصور قاصرًا علميًا؛ حيث إنه لم يتكون إلا من خلال خبرات ذاتية"[٥].

وكون الجملة نواةَ التحليل النصي، فقد ذهب بعض العلماء في تعريفه انطلاقًا من الجملة، مثل تعريف بيتوفي:"هو وحدة لغوية متكونة من أكثر من جملة"[٦]، فيما ذهب بعضهم إلى تعريفات لا منزلة فيها للجملة، مثل تعريف ليونس: "ناتج السلوك اللغوي العادي الذي يمكن أن يكتب كتابة فنولوجية"[٧]، ومعظم التعريفات ذهبت لعدم اتخاذ الجملة جزءًا منه، فيحده هارتمان بالإفادة "أي قطعة ما ذات دلالة وذات وظيفة، وبالتالي هي قطعة مثمرة من الكلام"[٨]، ويعرفه مُحَمَّد مفتاح بأنه: "مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة"[٩]، ومنها رأى

---

(١) لسان العرب، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ، (٩٨/٧)، (ن ص ص).

(٢) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٤٣).

(٣) المرجع السابق، (٩٤).

(٤) نسيج النص، الأزهر الزناد، (١١).

(٥) علم لغة النص –المفاهيم والاتجاهات–، سعيد حسن بحيري، (٣).

(٦) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس (نحو النص)، مُحَمَّد الشاوش، (٨٣).

(٧) المرجع السابق، (٨٣).

(٨) علم لغة النص –المفاهيم والاتجاهات–، سعيد حسن بحيري، (١٠٢).

(٩) تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، مُحَمَّد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م، (١٢٠).

جون لاينز أن النص مكون من وحدات لغوية وهذه الوحدات "ليست مجرد وحدات متصلة مع بعضها في سلسلة، إنما ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق، وعلى النص في مجملة أن يتسم بسمات التماسك والترابط"[١]، وحد برينكر النص: "بأنه تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى" [٢]،كما عد برينكر بعض الكلمات المستقلة المنفردة نصوص أيضًا، مثل عناوين الصور والأمثال وتركيب النداء وما أشبه ذلك"[٣]، فهم بذلك يقتربون على ما اصطلح عليه التماسك النصي في هذا الوقت.

وقد كثر الخلط بين مصطلحي النص والخطاب؛ وقد فرق بينهما دي بو جراند، فيرى "أن النص هو أداة الاتصال، والخطاب عنده هو مجموعة النصوص المرتبطة ببعضها بعضًا، والتي يمكن أن تواصل في وقت لاحق"[٤]، لاحق"[٤]، ولم أفرق كثيرًا بينهما؛ نظرًا إلى طبيعة النص القرآني الذي "يحتمل كونه خطابًا مسموعًا أو نصًا مكتوبًا"[٥].

ثالثًا: التماسك النصي:

توسع مفهوم النص من خلال مفهوم التماسك الذي ليست له طبيعة نحوية فحسب، بل يتضمن في الوقت نفسه جوانب متعلقة بموضوع النص وجوانب دلالية وتداولية أيضًا، فالتماسك يرتكز على أساس دلالي محوري مجرد للنص (يطلق عليه البنية العميقة للنص أيضًا)، بينه وبين القضايا المتفرقة (مفاهيم الجملة ومضامينها) علاقات منطقية دلالية محددة[٦]، وتعددت التعاريف للتماسك النصي كمصطلح مركب، ومنها" إنه تعلق عناصر النص بعضها ببعض، بوساطة أدوات شكلية أو علاقات دلالية، تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، والنص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى، لتكون في النهاية رسالة يتلقاها متلق فيفهمها ويتفاعل معها سلبًا

(١) اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، (٢١٩).

(٢) ينظر: علم لغة النص –المفاهيم والاتجاهات–، سعيد حسن بحيري (١٠٩).

(٣) ينظر: المرجع السابق.

(٤) علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض، (٤٠).

(٥) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٠).

(٦) علم لغة النص –المفاهيم والاتجاهات–، سعيد حسن بحيري، (١٠٩).

وإيجابًا"[١]، ومن الاختلاف في التعاريف أن الخولي يجعل التماسك في حدود ضيقة لا تتعدى الكلمة الواحدة، حيث عرف التماسك بأنه "درجة التجاذب بين عنصرين لغويين في جملة واحدة"[٢]، وهو عند يوسف نور عوض "الأسس التي تخلق الترابط النحوي والترابط الفكري"[٣].

ومن أوفى التعاريف وأوضحها: "هو العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها، وصور الترابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكننا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاص لها مما يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النص ويشترك فيها متلقية"[٤].

وتعرفه الباحثة: بأنها عملية تداولية ملازمة للنص، تعمل على تميز النص من اللانص، وهي مجموعة من الروابط السطحية (أدوات شكلية تمثل علاقة تبعية)، والبنية العميقة (بدون أدوات علاقات دلالية) تستنتج من القرائن، يعمل فيها المتكلم، ويعقلها المتلقي بحسب علمه في مجال الذي ينتمي إليه النص ويمكن أن يشعر بها القارئ.

(١) التماسك النصي –دراسة تطبيقية في نهج البلاغة–، عيسى جواد الوداعي، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م، (١٦).

(٢) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (١٠٧).

(٣) علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض، (٥٨).

(٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (نماذج من السنة النبوية)، (٥)، نقلًا عن مباحث حول نحو النص، عبد العظيم خليل، جامعة الأزهر، الأزهر، شبكة الألوكة، (١٠).

المطلب الثاني: القصة القرآنية

أولًا: مفهوم القصة القرآنية:

القصة في اللغة: وردت بمعنى التتبع، قال ابن فارس: "القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر، إذا تتبعته... ومن الباب القصة والقصص، كل ذلك يتتبع فيذكر"[١]، وبمعنى الخبر: "القصة: الخبر وهو القصص. وقص علي خبره يقصه قصًا وقصصًا"[٢]، وقال الراغب الأصفهاني: " والقصص: الأخبار المتتبعة"[٣]، فقد استخدم بعضهم القصة والخبر بمعنى مترادف.

وممن فرق بينهم أبو هلال العسكري فقال: "إن القصص ما كان طويلًا من الأحاديث ...وسمي الخبر الطويل قصصًا... ويجوز أن يقال القصص هو الخبر عن الأمور التي يتلو بعضها بعضًا والحديث يكون عن ذلك وعن غيره"[٤] أي إن الخبر أقصر من القصة ولا يشترط فيه التتابع.

وفي الاصطلاح: فهو عند بعض الباحثين: "هو أنباء وأحداث تاريخية، لم تتلبس بشيء من الخيال، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع، ومع هذا فقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من قصص، من الإثارة والتشويق مع قيامه على الحقائق المطلقة، الأمر الذي لا يصح عليه القصص الأدبي بحال أبدًا"[٥].

القصة القرآنية:

يسعى القرآن الكريم لتحقيق مقاصد عدة، وتعد القصة القرآنية أحد الوسائل المستخدمة في التعبير القرآني عن هذه المقاصد؛ فالتعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والفني؛ مستخدمًا الأداة الفنية للتأثير في الوجدان الديني، وقد اشتملت القصة القرآنية على أساليب منها التصوير؛ فالقرآن يؤثر في متلقيه عن طريق التصوير، ويُقصد

---

(١) مقاييس اللغة، (٥/١١) (ق ص).

(٢) لسان العرب، (٧/٧٤) (ق ص ص).

(٣) المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن مُحَمَّد الراغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، (١/٥٢٣).

(٤) الفروق اللغوية، أبي هلال العسكري، تحقيق وتعليق: مُحَمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، مصر، ١٩٩٧م، (١/٤١-٤٢).

(٥) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ١٩٧٥م، (٤٩).

بالتصوير: التصوير الذي تبناه سيد قطب[١] "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسوسة المتخلية عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم ترتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البرية مجسمة مرئية"[٢]، وكذلك أسلوب الحوار متضمنًا تصوير الانفعالات النفسية، و "هو الذي يعتمد عليه فن القصص، في خلق الحركة وتلوينها وتنويعها"[٣] وأسلوب الحوار أسلوب القرآن ذاته، إذ لا يهبط من ناحية، ويسمو من ناحية، تبعًا لاختلاف الظروف، والشخصيات، ومستوى الأداء عند الكتاب من البشر العاديين[٤]، كما يمتلك سمةً خاصةً، لا نجد لها أثرًا في القصص الأدبي على الإطلاق، وهي الذاتية التي يحتفظ بها الحوار لشخصيات المتحاورين، فإننا لا نجد فرصة أبدًا نتفلت فيها من هذا الشعور الذي يستولي علينا من أننا إزاء شخصيات واقعية، لها وجودها الذاتي[٥]، فإن واقعية القصة القرآنية، وتتابع أحداثها، وتسلسل أفكارها، وترابط معانيها، حتى كانت كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وأكسبها رونقًا وسحرًا جذابًا، وأضفى لها جمالًا لا ينكره أصحاب المواهب الفطرية والعقول المستنيرة[٦]، كما جاءت القصة القرآنية شاملةً على جميع المذاهب الأدبية[٧] التي التي يدعي الغرب أنهم اختلقوها، فاتسمت بعظيم ما جاءت منه.

---

(١) مفهوم التصوير الفني في القرآن الكريم هو مذهب سيد قطب الذي انفرد به في مقاربة القصة القرآنية، فكان يدرس القرآن من وجهة الأديب

(٢) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة العشرين، ٢٠١٣م،(٣٦).

(٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، (١١٩).

(٤) ينظر: التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ١٩٧٣م، (٢١٩-٢١٧).

(٥) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه عبد الكريم الخطيب، (١٢٩).

(٦) ينظر: الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، عمر مُحَمَّد عمر باحاذق، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ١٩٩٣م، (١٥٠).

(٧) في حديثه عن الأنبياء والرسل يتناول عظام الشخصيات؛ وهذه سمة (المدرسة الكلاسيكية)، وفي حديثه عن تطور الشخصيات مع تعدد الأماكن والأزمنة؛ وهذه من خصائص (المدرسة الرومنسية)،وفي جمعه بين عالم الواقع الملموس وعالم ما رواء الواقعية؛ فيقترب من حيث الازدواجية في (المدرسة الرمزية)، وفي هدفه الأساسي من القص القرآني من توجيه الناس إلى الحياة الطيبة الكريمة، ودفعهم إلى ما فيه الطمأنينة والرخاء، فهو بذلك تقرب من (المدرسة الواقعية)، ينظر: الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، عمر مُحَمَّد عمر باحاذق، (٢١٤).

ثانيًا: خصائص القصص القرآني[1]:

١- تكرار القصة الواحدة: ويعني أن ترد القصة الواحدة مكررة في مواضع شتى، ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كاملة إنما هو تكرار لبعض حلقاتها، ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها، والتناسق بين حلقة القصة التي تعرض منها والسياق الذي تعرض فيه هو الغرض المقدم، كقصة موسى عليه السلام، فقد وردت هذه القصة في حوالي ثلاثين موضعًا.

٢- انتخاب أجزاء من القصة: وهو من خضوع القصة القرآنية للغرض الديني، أن تعرض بالقدر الذي يكفي لأداء هذا الغرض، ومن المشهد الذي يتفق معه، فمرة تعرض القصة من بدايتها، ومرة من أوسطها، ومرة من نهايتها، وتارة تعرض كاملة أو متوسطة، حسبما تكمن العبرة في هذا الجزء، كقصة مريم عليها السلام التي سنعرض لها في هذا البحث.

٣- الموعظة: إن القصص القرآني بمختلف ألوانه وضروبه وموضوعاته كان موجهًا لهذه الغاية الوعظية، أكثر مما هو موجه للغاية القصصية الفنية، أو سرد الحوادث التاريخية.

ثالثًا: عناصر القصة القرآنية[2]:

على الرغم من أن غرض القصة القرآنية ديني محض، فإنا نستطيع أن نجد بعض العناصر البارزة قائمة في معظم القصص التي وردت في القرآن الكريم، ومنها: الشخصية، والحوار، والصراع، والمفاجأة، والتصميم.

١- الشخصية: هي التي تحرك الأحداث وتضطرب بها، أو تقوم الأحداث بتحريك الشخصيات أو تتساوق وتتوازن، فلا يطغى أحدهما على الأخر، والشخصية الأساسية في هذا البحث مريم عليها السلام، وهناك شخصيات ثانوية مثل جبريل عليه السلام، وأم مريم (حنّه)، وزكريا وعيسى عليهما السلام.

٢- الحوار: وهو المحرك للأحداث، والمصور للشخصيات، والمبلغ إلى الصراع، والمؤدي إلى الهدف، والمظهر للمغزى، وقد كان في القصة القرآنية على صور وأشكال، إما حوار ذاتي بين الشخص وقلبه أو عقله كما في مشهد تمني مريم عليها السلام الموت في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾(مريم: ٢٣)، أو بين

---

(١) ينظر: التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين،(٢١٩-٢١٧). ينظر: التصوير الفني لسيد قطب (١٥٠-١٧٠).

(٢) ينظر: التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، (٢٢٦-٢١٩).

شخصيتين كما في حوار مريم مع زكريا عليهما السلام، في قوله تعالى:﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾(آل عمران:٣٧)، أو بين شخصية وعنصر آخر، كما في حوار مريم مع جبريل عليهما السلام، في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (مريم: ١٨-١٩) إلى نهاية الحوار، أو بين شخصيه وقومه كما في مشهد إتيان مريم عليها السلام لقومها، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (مريم: ٢٧)، وبالحوار المباشر ويغلب هذا النوع في قصة مريم عليها السلام، أو غير المباشر باستخدام الرمز والإشارة، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (مريم: ٢٩).

٣-الصراع: فهو غالبًا ما يكون في القصة القرآنية منسجمًا مع المغزى العام للقصة، وهو الهداية والدعوة والإيمان، فقد يكون صراعًا ماديًا وآخر صراعًا نفسيًا، ومن أمثلة الصراع في قصة مريم عليها السلام الصراع النفسي مع قومها، فلما كانت القصص القرآنية تسلية لرسول الله ﷺ، وتثبيت لفؤاده، لما كان يلقى من أذى من قومه جاءت ملبيَّة للمغزى العام من القرآن الكريم.

٤-المفاجأة: وتكون على صور مختلفة:

أ. قد يكتم سر المفاجأة عن البطل والنظارة، حتى ينكشف لهم معًا في آن واحد، كما في قصة ولادة مريم عليها السلام ونذر والدتها، في قوله تعالى:﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ (آل عمران:٣٦).

ب.أن يكشف السر للنظارة، ويترك أبطال القصة عنه في عماية، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (مريم:١٧-١٨)، فكلنا نعلم نحن أنه الروح جبريل عليه السلام.

ت.أن يكشف بعض السر للنظارة، وهو خافٍ على البطل في موضع، وخافٍ على النظارة وعن البطل في موضع آخر، في القصة الواحدة.

ث.ألا يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة البطل والنظارة في آن واحد، ويعلمان سرها في الوقت ذاته، كما في مفاجآت قصة مريم عليها السلام حين تتخذ من دون أهلها حجابًا، فتفاجأ هناك بالروح الأمين.

٥-التصميم: وقد سارت في اتجاهات:

أ. مرة يأتي في مطلعها ملخص يسبقها، ثم التفصيلات كما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (مريم: ١٦).

ب. ومرة تذكر عاقبة القصة ومغزاها، ثم تبدأ القصة من أولها وتسير على التفصيل.

ت. ومرة ذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ويكون في مفاجآتها الخاصة ما يغني، كما في قصة مريم عليها السلام عند مولد عيسى عليه السلام.

ث. ومرة تكون القصة على شكل تمثيلية، فتكون ألفاظها نفسها هي المنبهة إلى ابتداء العرض، ثم تنساب القصة.

رابعًا: التماسك النصي في القصة القرآنية:

إننا نلمس قوة التماسك في قصص القرآن الكريم في القصص الموزعة على أكثر من سورة أكثر من غيرها من القصص، ومنها قصة مريم عليها السلام، فالقصة موزعة على خمس سور هي: آل عمران، ومريم، والأنبياء، والمؤمنون، والتحريم، وكل مشهد من مشاهدها الإحدى عشر، جزء من أجزاء السورة التي وردت فيها، "وعلى هذه أتت جميع قصص القرآن، فإنك ترى القصة الواحدة لا تختلف معانيها تأتي في صورة مختلفة وقوالب من الألفاظ متعددة حتى لا تكاد تشتبه في موضعين منه، ولابد من أن تجد الفرق بين صورها ظاهرًا"[١]؛ وذلك لأجل التناسب بين الحلقات القصصية، ومن إعجاز القرآن أن هذه المشاهد لو جمعت ورتبت بترتيب الأحداث، لظهرت متماسكة يكمل بعضها البعض كأنما وردت ضمن سورة واحدة؛ على الرغم من نزوله منجمًا مفرقًا[٢] دون أن يؤثر على تماسكه وانسجامه؛ "لأن عناصر تماسك النص القصصي في القرآن، يتمثل في وحدة الشعور، وثبات الشخصيات الرئيسة، ومنطقية تداعي المشاهد، ومنطوق الشخصيات، وهي عناصر ليس من الضرورة تحققها كلها للحكم على نص قصصي بالترابط فيكفي تحقق واحدة منها فقط، لإحداث التماسك النصي،

(١) بدائع القرآن، لابن أبي الأصبع، (٣٨٩)، نقلًا عن: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٥٩٥).

(٢) وهذا مذهب ابن عباس وعليه جمهور العلماء، ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، (٩٦).

وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم"[1]، وما جاء مجملًا في موضع جاء مفصلًا في موضع آخر فالقصص القرآني في تكراره مفسرًا وشارحًا بعضه بعضًا، فإن من "أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن[2] فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر"[3] .

وسبب اختيار قصة مريم عليها السلام مما تفردت به عليها السلام في القرآن الكريم، فقد جاء متناسقًا ومنسجمًا مع الأحداث التي مرت بها مريم عليها السلام، فكشف عن اسمها وولادتها، ثم حياتها في شبابها، ثم ما مرت به من قدرة إلهيه، وقد ذُكر اسم مريم عليها السلام- صريحًا في القرآن تسعًا وثلاثين مرةً ، منها إحدى عشرة مرة قصدًا لذاتها، ومنها مرّةً واحدة بنسبتها لوالدها عمران، وثلاثًا وعشرين مرةً بنسبة المسيح عيسى ابن مريم -عليهما السلام- إليها، وعبَّر عنها بالضمير أربع مرات، وكنيت بأخت هارون مرةً واحدةً.

(١) التماسك النصي في القصص القرآني قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام أنموذجًا، أحمد ندا، رضا الدسوقي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة المجمعة، العدد الرابع، ١٤٣٥هـ، (١٤٤).

(٢) وهو منهج في التفسير بدأه الرسول ﷺ، في حديث لما نزلت ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ (الأنعام:)٨٢ ، قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: "ليس كما تقولون ﴿لم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ (الأنعام: ٨٢) بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم، صحيح البخاري، أبي عبد الله مُحَمَّد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري الجعفي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ٢٠٠٤م، (١٠٢١/٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي مُحَمَّد السلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ١٩٩٩م، (٧/١).

المبحث الثاني: التماسك الدلالي (Coherence):

يمثل التماسك الدلالي المستوى العميق للنص، ونعني به الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في باطن النص، وهو التماسك الحاصل في البنية العميقة لأدوات التماسك الشكلية في البنية السطحية؛ "التي تسمح للنص بأن يفهم ويستخدم[١]، والعلاقات هي حلقة الاتصال بين المفاهيم[٢]، فتعطي للنص قوته؛ فوحدة أي نص لا يمكن أن توجد بشكل كاف إلا بمراعاة بناء قاعدته الدلالية، أما وسائل التماسك الشكلية فهي تسهل على السامع التعرف على علة بناء القاعدة الدلالية في النصوص وفهم ذلك النص، وقد عبر هاليداي ورقية حسن عن أهمية البعد الدلالي بقولهم إن أفضل ما ينظر إلى النص على أنه وحدة دلالية، وحدة ليست في الشكل، بل في المعنى[٣]، ويكون "متى اعتمد تأويل جزء من أجزاء النص على تأويل عنصر آخر منه، فلا يتسنى لأول إلا بالثاني"[٤] فالتماسك الدلالي عملية يقيمها كل من النص والقارئ معًا.

فهو أمر "نسبي يكون بالنسبة إلى سامع ولا يكون بالنسبة إلى آخر، وكذلك أمر اختباري تشهد على قيامه الملاحظة، وقد يتحقق بالروابط اللفظية بين أجزاء النص كما يمكن أن يتحقق دونها، وهو في الحالتين يعتمد على معرفة السامع بالعالم الذي تحيل عليه الجملة أو الجمل أي معرفته بما يسمى الأطر frames فيكون النص الواحد منسجمًا أو غير منسجم بحسب كون السامع عارفًا أو جاهلًا بتلك الأطر"[٥].

ويرى ألدن أن التماسك الدلالي يرتبط بطرفين أحدهما داخل النص وهي الأدوات الشكلية، وثانيهما خارج النص، وهو ما يعبر عنه بالبعد البرجماتي، فالتماسك الدلالي بالمفهوم السيكولوجي هو مجموعة من العلاقات

---

(١) نظرية علم النص، حسام فرج،(١٢٧).

(٢) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، سعد مصلوح، (٢٢٨)

(٣) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح العجمي (٣٧).

(٤) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، مُحَمَّد الشاوش، (١٢٤)

(٥) المرجع السابق، (١١١).

المفهومية يستخدمها القراء والكتاب في تعاملهم مع النص، مما يعطي النص بعدًا براجماتيًا واضحًا له، فالعوامل البراجماتية المرتبطة بتكوين النص وتلقيه كانت مجالًا لاهتمام الدراسات النصية ذات الصبغة الدلالية[1]

ووسائل التماسك الدلالي متعددة لا يمكن حصرها لتزايدها مع تعمق الدراسة في علوم اللسان، والبحث عن أشكالها، ومنها: الابتداء والانتهاء، الفصل والوصل، السياق وعلم المناسبة، وما يتصل بها، والحوار، والعلاقات الدلالية، مثل :الإجمال والتفصيل، والعموم والخصوص، والسبب والمسبب، والتقابل، والترادف، والتضاد.

سأعرض لنوعين من وسائل التماسك الدلالي، نظرًا لإمكانية البحث، وهما الإجمال والتفصيل، والسياق.

أهمية العلاقات الدلالية:

العلاقات الدلالية هي علاقات تربط بين أطراف النص دون وسائل شكلية، مثل علاقة الإجمال والتفصيل، والسبب والمسبب، والعموم والخصوص، وهي علاقات متواجدة في أي نص يعتمد الربط القوي بين أجزائه، كما لها دور الإخبار من أجل تحقيق درجة معينة من التواصل فركزت العلاقات الدلالية على المستوى الدلالي في لسانيات النص، ولقد أسهمت في التماسك وهي علاقات لا تكاد تخلو منها نص يحقق شرطيْ الإخبارية والشفافية مستهدفًا تحقيق درجة معينة من التواصل، سالكًا في ذلك بناء اللاحق على السابق[2].

كما أن التماسك الدلالي في عبارات القصص القرآني لا يظهر في حيث المعنى فحسب، وإنما "من حيث موسيقاه ذات النبرة الخاصة، والنغمة المتناسقة، التي فيها تآلف وانسجام، تتقبلها الأذن وتعيها بادئ ذي بدء، إذ بها تأنس، ومن صداها تحن إلى سماعها والإصغاء إليها"[3]، كما تضمن للنص "اتصال المقاطع ببعضها عن طريق استمرار دلالة معينة في المقاطع اللاحقة"[4].

---

(١) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج، (١٢٧)

(٢) ينظر: لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٦٩-٢٧٠).

(٣) الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، عمر مُحَمَّد عمر باحاذق،(١٧٠).

(٤) لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٧٢).

المطلب الأول: الإجمال والتفصيل:

أولًا: مفهوم الإجمال:

لغة: قال في أصله ابن فارس "الجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تجمع وعظم الخلق، فالأول قولك: أجملت الشيء، وهذه جملة الشيء، وأجملته حصلته"[١]، وأجمل الأمر: أبهم ومنه: المجمل: وهو ما لا يوقف على المراد منه إلا ببيان من جهة المتكلم [٢].

اصطلاحًا: هو ما خفي المراد منه بحيث لا يدرك بنفس اللفظ إلا ببيان من المجمل[٣]، ويرى العسكري أن "المجمل ما يتناول الأشياء أو ينبئ عن الشيء على وجه الجملة دون التفصيل"[٤].

أجملت قصة مريم عليها السلام في موضعها من سورة الأنبياء والمؤمنون والتحريم، ويعود سبب إجمالها للسياق الواردة فيه.

ففي سورة الأنبياء في قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٩١)، وردت في سياق ذكر موجز لقصص الأنبياء وما تعلق بهم، وفيه يقول البقاعي: "هذه القصص وما تقدمها من هذه السورة، فلذلك اتصل به قوله مخاطبًا لمن قال لهم: أفأنتم له منكرون"[٥]، وكون السياق سياق ذكر لأنبياء ذكور فعبر عنها باسم موصول مبهم وهو التي، كما أنه سياق ضرب مثل كما ذكرنا سابقًا.

وأجملت في سورة المؤمنون في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون: ٥٠)، "ولما كان من ذكر كلهم قد ردوا من جاءهم لإشعارهم استبعادهم؛ لأن يكون الرسل بشرًا،

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤/١)، (ج م ل).

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، (٤٢).

(٣) التعريفات، الشريف الجرجاني، (٢٠٤).

(٤) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري،(٥٨/١).

(٥) نظم الدرر للبقاعي، (٤٧٦/١٢).

وكان بنو إسرائيل الذين أعزهم الله ونصرهم على عدوهم وأوضح لهم الطريق بالكتاب قد اتخذوا عيسى-مع كونه بشرًا- إلهًا، اتبع ذلك ذكره تعجيبًا من حال المكذبين في هذا الصعود بعد ذلك نزول في أمر من أرسلوا إليهم، وجرت على أيديهم الآيات لهدايتهم، فقال: {وجعلنا} أي بعظمتنا {ابن مريم} نسبة إليها تحقيقًا لكونه لا أب له، وكونه بشرًا محمولًا في البطن مولودًا لا يصلح لرتبة الإلهية؛ وزاد في حقيق ذلك بقوله: {وأمه}" [1].

وأجملت في سورة التحريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (التحريم :١٢)، و"بزواج النبي ﷺ لآسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران في الجنة دار القرار السالمة عن الأكدار الزواج الأبدي فصار أول السورة وآخرها في أزواجه ﷺ"[2]، وصُرح باسمها لكون السياق سياق ذكر إناث.

مفهوم التفصيل:

لغة: قال في أصله ابن فارس "الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه، يقال: فصلت الشيء فصلًا.[3] وفي لسان العرب يعني البيان[4].

اصطلاحًا: هو ما "ظهر به مراد المتكلم للسامع؛ من غير شبهة، لانقطاع احتمال غيره، بوجود الدليل القطعي على المراد"[5]

وأطلقه القزويني على الإطناب، فعرف الإطناب أنه هو الإيضاح بعد الإبهام، ليرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس أفضل تمكن[1] .

(١) نظم الدرر للبقاعي، (١٣/١٤٨).

(٢) المرجع السابق، (٢٠/٢١٥)

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤/٥٠٥)، (ف ص ل).

(٤) لسان العرب، ابن منظور، (١١/٥٢٤)، (ف ص ل)

(٥) ميزان الأصول في نتائج العقول، علاء الدين السمرقندي، تحقيق: محمد زكي عبد البر، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ١٩٨٤ م، (١/٣٥١).

فصلت القصة مريم عليها السلام في سورة آل عمران ومريم، إلا إن أجزاء التفصيل اختلفت ففي سورة آل عمران ذكر مشهد ولادتها ومشهد النذر، ومشهد قبول الله لها وكفالة زكريا لها، مشهد التبشير بعيسى عليه السلام، وفي سورة مريم ذكر مشهد الانتباذ، ومشهد حوار مريم مع جبريل عليه السلام، ومشهد الحمل والوضع، ومشهد عودتها لقومها، ومشهد تصديقها بحديث عيسى عليه السلام.

إجمال مشهد الإحصان في كل من سورة الأنبياء، والمؤمنون، والتحريم، وتم تفصيله وتبين المقصود منه في سورة مريم من استعاذتها حينما رأت جبريل عليه السلام، وتمنيها الموت عندما أتاها المخاض، وابتعادها عن قومها وخوفها منهم، وكذلك إجمال كونها وابنها آية للعالمين وتفصيل آيتها بالحمل بعيسى عليها السلام مين غير ذكر في سورة مريم عليها السلام.

كما ساعد التفصيل في تفسير الانتباذ في سورة مريم في تحديد سبب الانتباذ، وهو "التعبد لله"[٢] بدليل قبول الله لها في النذر، وكذلك حرصها على اختيار جهة الشرق في (مكانًا شرقيًا).

وعلى مستوى السورة قد يأتي التفصيل أولًا ثم الإجمال كما في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٢)، فجاء تفصيل معنى الاصطفاء الأول في السياق السابق في اصطفى الله لها من آل عمران –والله أعلم–، وجاء تفصيل التطهير في قصتها من سورة مريم، وجاء تفصيل معنى الاصطفاء الثاني في السياق اللاحق وهو اصطفاء مريم عليها السلام على نساء العالمين.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني الشافعي، تحقيق: مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٩٦/٣).

(٢) وذهب السُّدِّي إلى أن سبب الانتباذ هو التطهير من الحيض، ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٩٠/١١)

ثانيًا: دور الإجمال والتفصيل في تماسك القصص القرآني:

لإجمال والتفصيل من العلاقات الدلالية المهمة في القصص القرآني، فهو يلعب دورًا مهمًا في عملية ترابط القصة القرآنية في تكرارها ويعمل من جهة أخرى في تفسير القرآن بالقرآن، فالبلاغيون سموه إطنابًا ومفسرًا، فالتفصيل عملية إيضاح وبيان لما أبهم في المجمل فيما يشتبه على القارئ.

فالنص يبدأ بفكرة ثم يعود تناولها بشكل مجمل، أو العكس، فالإجمال يحتوي على العناصر الرئيسية للقصة الكبرى في عامة النص القرآني، "والأمر يشبه تقديم النتيجة على السبب"[1]، وقد يؤتى بالقضية مجملة أو مفصلة ليدعم السياق الواردة فيه أو الجزء الذي تحتله من السورة.

والغالب في هذه العلاقة وقع المجمل قبل المفصل لكن قد يتقدم المفصل لتحقيق غاية معينة وهي ما عبر عنها ابن عاشور بقوله: " للإجمال بعد التفصيل وقعًا من نفوس السامعين"[2].

والقصة القرآنية لم تلتزم طريقًا واحدًا من حيث الطول والقصر والإجمال والتفصيل، ويظهر لي أن الإجمال والتفصيل في القصة القرآنية على قسمين:

الأول: قسم عام على مستوى القصة في القرآن الكريم: ويظهر في الإجمال في مواضع يفسرها التفصيل في مواضع أخرى من القرآن الكريم، ويبرز هنا دور القارئ في مَلء تلك الفراغات، وهو هدف تداولي يقوم بإنعاش ذاكرة القارئ بملأ الفراغ، أو تنشيطها بالبحث عن ما يملأ الفراغ فيبحث عن ما يفسر هذا الإجمال فيما تبقى من القرآن أو في السنة النبوية باعتبارها المفسر الثاني للقرآن.

الثاني: قسم خاص على مستوى القصة في السورة: ويظهر فيها الجزء من القصة تباعًا لسياق السورة الواردة فيها مما يؤيد موضعها في السياق، فما يلزمها ما يؤيدها من إجمال أو تفصيل يرد، فالمقام في سورة التحريم

(١) نظرية علم النص، حسام فرج(١٤٦).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٠٢/١).

يستدعي الإجمال لأنه مقام ضرب مثل، والمثل نوع من الإيجاز لقلة ألفاظه وكثرة معانيه، "وهو علم منفرد بنفسه، لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه، وبالغ في التماسه حتى أتقنه"[1].

وكذلك ما ورد من تفصيل بعد إجمال اصطفاء آل عمران في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣)، "ولذلك عرفت أم مريم في هذا الخطاب بأنها امرأة عمران ليلتئم التفصيل بجملته السابقة"[2].

(١) جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، دار الفكر، بيروت، (١/٥).

(٢) نظم الدرر للبقاعي، (٤/٣٥٠).

الوسيلة الأولى: الضمائر:

أولًا: مفهوم الضمير: الضمير في اللغة من جذر(ض م ر): قال ابن فارس: الضاد والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على دقة في الشيء، والآخر يدل على غيبة وتستر، ومن هذا الباب: أضمرت في ضميري شيئا ؛ لأنه يغيبه في قلبه وصدره[١] .

والضمير: السر داخل الخاطر، والجمع الضمائر، وأضمرت الشيء: أخفيته. وهوى مضمر وضمر كأنه اعتقد مصدرًا على حذف الزيادة: مخفي، كما أن أكثر المضمر في العربية إن شئت جئت به، وإن شئت لم تأت به[٢]، وإنما سمي مضمرًا من قولهم (أضمرت الشيء) إذا سترته وأخفيته، ومنه قولهم: (أضمرت الشيء في نفسي) أو من الضمور والهزال.

يظهر من خلال المعاجم أن كلمة الضمير تدل على الغيبة والتستر، والخفاء، ودليل على الزيادة، والضمور والهزال وهذا ما اضفى للضمير تميز عن غيره سأشير إليها لاحقًا.

الضمير في الاصطلاح: اختلف النحويون فيه، ما بين التعريف من منظور الحد، والتعريف من منظور العد[٣]:

١- التعريف من منظور الحد: فقد ذهب بعض العلماء إلى حد الألفاظ حدًا جامعًا مانعًا، ومنهم:

تعريف ابن يعيش للضمير بأنه "اسم كني به عن اسم"[٤]، ويتابع قوله بـ"لا فرق بين المضمر والمكني عند الكوفيين، فهما من قبيل الأسماء المترادفة، فمعناهما واحد، وإن اختلفا من جهة اللفظ، وأما البصريون، فيقولون: المضمرات نوع من المكنيات، فكل مضمر مكنيٌ، وليس كل مكني مضمرا"[٥].

---

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٧١)، (ض م ر).

(٢) ينظر: لسان العرب (٤/٤٩٢)، (ض م ر).

٣ ينظر: عود الضمير وأثره في التفسير –دراسة لضمير الغائب المعتمد على الهاء في حزب المفصل–، عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، رسالة دكتوراه، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، ١٤٢٩-١٤٣٠هـ، (٣٠).

(٤) شرح المفصل، موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م، (٢/٢٩١).

(٥) المرجع السابق، (٢/٢٩٢)

وتعريف ابن مالك "وهو الموضوع لتعيين مسماه مشعرًا بتكلمه أو خطابه أو غيبته"[١]، وأنه "اسم جامد يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب"[٢]، ويميز هذا التعريف أن الضمائر غير مشتقة.

٢-التعريف: من منظور العد: فقد ذهب بعض النحويين إلى عد ألفاظ الضمير دون حده، ومنهم:

ما ذهب إليه أبو حيان: "ولا يحتاج إلى حد ولا رسم؛ لأنه محصور"[٣].

وكذلك تعريف السيوطي: "ألفاظ محصورة بالعد استغنينا عن حده كما هو اللائق بكل معدود كحروف الجر"[٤]، وكذلك تمام حسان فإنه يرى أن "معنى الضمير وظيفي"[٥].

وقد أطلق الكوفيين على الضمير (الكناية)، "في حين نجد الفراء يسمي الضمير مكنيًا[٦]، وتابعه الكوفيون على على اعتبار اصطلاح (المكنيات)[٧] مرادفًا لاصطلاح الضمائر، على أن بعضهم يسميها (الوجه)[٨]، ومن ذلك قول ابن يعيش السابق، وإذا أمعنا النظر في اصطلاح الكتاب وجدناه يشمل الضمير وغيره من موصولات وإشارات والأمر الذي يجعل لمصطلح سيبويه مزية الدقة والتحديد فاستحق بذلك البقاء، أما ابن فارس فيجعل الكناية أول أحوال الاسم ثم يكون ظاهرًا، وسمي الضمير المستتر مستجنًا، وهي تسمية معنوية[٩].

---

(١) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبي حيان الأندلسي، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ١٩٩٨م،(١٢٨/٢).

(٢) دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن صالح الفوزان، دار المسلم، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، (٨٣/١).

(٣) ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان مُحَمَّد، مراجعة ورمضان عبد التواب، مكتبة الخارجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ١٩٩٨م، (٩١١/٢).

(٤) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، (١٩٤/١)

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ١٩٩٤م، (١١١).

(٦) معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومُحَمَّد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى، (٤٢٥/١).

(٧) مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٦٠م، (٥٥٧).

(٨) إحصاء العلوم، لأبي نصر الفارابي، تقديم وشرح: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، (٢١)

(٩) ينظر: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض حمد القوزي، عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، (١٤٣).

ولعل السبب يعود إلى كون معنى الكناية عند الكوفيين يعني عدم التصريح باللفظ والتعبير عنه بعلامة أخرى معوضه، ويسمى الاسم مكنيًا عنه[١]، ومن ذلك "الكناية: ما استتر معناه، لا يعرف إلا بقرينة زائدة، ولهذا سَمُّوا التاء في قولهم: أنت، والهاء، في قولهم: إنه، حرف كناية، وكذا قولهم: هو، وهو مأخوذ من قولهم: كنوت الشيء وكنيته، أي سترته"[٢].

وقد أجمع النحاة على كون الضمائر من المعارف؛ لأنها لم تضمر إلا وقد عرفت، وإنما اختلفوا في درجته بين المعارف، فقد عده ابن جني[٣] الأول في المعارف، وكذلك ابن مالك[٤]، ولا ينفك حاله عند الجميع من التأرجح بين أن يكون في المرتبة الأولى أو الثانية[٥].

والضمير بحاجة إلى مفسر يعود عليه، ليوضح معناه، ومعنى المفسر في اللغة: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه[٦].

قد تنبه النحويون القدامى لأهمية مفسر الضمير فسموه بـ (المفسر)؛ لأنهم درسوا الضمير والإشارة والموصول تحت باب واحد هو (الإبهام)[٧]، والإبهام من أهم خصائص الضمير[٨]، فالأصل في عملية الكلام هو أن المتكلم لا يستعمل في كلامه المبهم؛ لأنه سيناقض الغرض من الكلام مطلقًا، ويخرج عن سنن الخطاب؛ لأن الغرض من

---

(١) ويسمى ضمير الذكر أو ضمير التذكير ومنه قول سيبويه (فإن لم يكن قبل هاء التذكير حرف لينٍ أثبتوا الواو والياء في الوصل) الكتاب، (١٩٠/٤).

(٢) التعريفات، علي بن مُحَمَّد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: مُحَمَّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، (١٥٧).

(٣) اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، (٩٩) .

(٤) البيت (٥٣) ألفية ابن مالك في النحو والتصريف، المسماة بالخلاصة في النحو، أبو عبد الله مُحَمَّد جمال الدين بن عبد الله بن مالك الأندلسي، الأندلسي، تحقيق: سليمان بن عبد العزيز العيوني، دار المنهاج، الرياض، (٧٧).

(٥) عود الضمير وأثره في التفسير –دراسة لضمير الغائب المعتمد على الهاء في حزب المفصل–، عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، (٢٥).

(٦) مقاييس اللغة (٥٠٤/٤)، (ف س ر).

(٧) للإضافة النظر في رسالة الماجستير (المبهمات الثلاثة : الضمير والاشارة والموصول بين النحاة والقراء) مُحَمَّد على حسنين صبرة، كلية دار العلوم العلوم – قسم النحو والصرف والعروض، ١٩٨١.

(٨) دراسات لغوية تطبيقية، سعيد بحيري، (١١٢).

كل كلام هو البيان والتبين، ومن هنا كانت الإحالة القبلية هي الأصل في استعمال المبهمات، باعتبار أن المتكلم لا يستعمل منها إلا بعد أن يوفر ما يفسرها ويرفع الإبهام عنها[١]، فهو عائد[٢] على مفسر سابق.

وقد يسمى المفسر بالمرجع، كما سماه السيوطي بإشارته إلى أن الضمير: لابد له من مرجع يعود إليه[٣] سبب حاجة الضمير له لأن الضمائر أسماء مبهمة غامضة لا تظهر فائدتها إلا بوجود المفسر فيكشف إبهامها.

والعلاقة بين الضمير والمفسر تنعقد على أساس قاعدة التطابق، فيتطابقان في الجنس والعدد، ولا يشترط أن يتطابقا في الإعراب؛ لأن الضمير ليس من التوابع فيأخذ من المتبوع علامة إعرابه، و"عدم المطابقة يؤدي إلى خلل أسلوبي، وعدم الربط يؤدي إلى خلل دلالي"[٤].

وعلى الرغم من أن الأصل تقديم المفسر، إلا إنه يمكن تأخيره بقول دي بوجراند: إنه عندما يعود اللفظ الكنائي على متأخر لابد أن نحدد مكانًا فارغًا بشكل مؤقت، ويكون هذا المكان بمثابة مركز تجمع حتى نستطيع تحديد المرجع، وهنا نكون قد حددنا المحتوى الذي يرجع إليه الضمير[٥]، فيتم بذلك البيان والوضوح.

ثانيًا: أقسام الضمائر من حيث الإحالة:

١- ضمير المتكلم، نحو: (أنا).

٢- ضمير المخاطَب، نحو: (أنت)، ويشترك النوع الأول والثاني في كون الإحالة بهما غالبًا خارجية.

٣- ضمير الغائب، نحو: (الهاء) وهذا النوع يسهم في الإحالة الداخلية.

وقد حرص النحاة على تحديد مراتب الضمائر من جهة التعريف اعتمادًا على فكرة الحضور، فيقدم المتكلم ثم المخاطب وأخيرًا الغائب الذي لا صلة له بالحضور[١]، ويرون أن الأصل تقديم المفسر لضمير الغائب، ويعلل

---

(١) ينظر: الجمل في النحو، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسس الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ١٩٨٤م، (١١٧).

(٢) وقد يسمى الضمير العائد، ينظر: جامع البيان، الطبري، (٤٣٠/٧).

(٣) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، (٣٣٤/٢).

(٤) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٨٥).

(٥) المرجع السابق، (٤٣٠).

النحاة هذا الأصل بأن ضمير المتكلم والمخاطب يفسرهما المشاهدة، وضمير الغائب عار عن هذا الوجه من التفسير، فكان الأصل تقديم معاده ليعلم المراد بالضمير قبل ذكره"[٢]، وجاء في التسهيل "الأصل تقديم مفسر ضمير الغائب، ولا يكون غير الأقرب إلا بدليل، وهو إما مصرح بلفظه، أو مستغنى عنه بحضور مدلوله حسًا أو علمًا، أو بذكر ما هو له جزء أو كل أو نظير، أو مصاحب بوجه ما"[٣].

والأصل في إحالة ضمير الغائب الإحالة القبيلة، التي تؤدي دورًا مهمًا في اتساق النص وتماسكه، والتي أسماها هاليداي ورقية حسن أدوارًا أخرى (other roles) في مقابل أدوار الكلام (speech roles) التي تندرج تحتها ضمائر المتكلم والخطاب[٤].

ويقسم هاليداي ورقية[٥] الضمائر إلى:

١- ضمائر وجودية مثل: (أنا، ونحن، وأنت، وهو، وهم،...).
٢- ضمائر ملكية، مثل: (ياء المتكلم، كاف المخاطب، ونا المتكلمين...)

ثالثًا: دور الضمير في التماسك النصي:

يبرز دور الضمير في التماسك النصي بحسب نوعه، فعلماء النص لا يعولون على الضمائر المحيلة إلى متكلم أو مخاطب في عملية اتساق النص، فهي تحيل خارج النص في الغالب، إنما يعولون على ضمائر الغائب التي تحيل غالبًا إلى شيء داخل النص ومن ثم تدفع المتلقي إلى البحث في النص عما يعود عليه الضمير-المفسر-، يسهم بذلك في خلق الاتصال بين المتكلم والمتلقي، فعملية الإضمار لا تتم من جهة المتكلم وحده، بل هي عملية

---

(١) دراسات لغوية تطبيقية، سعيد بحيري، (١١٤).

(٢) موسوعة الأعمال الكاملة الإمام مُحَمَّد الخضر حسين، جمع وضبط: علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م، (٨٥/٢)

(٣) شرح تسهيل الفوائد، مُحَمَّد جمال الدين بن عبد الله بن مالك الأندلسي، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومُحَمَّد بدوي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، (١٥٦).

(٤) ينظر: لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (١٨).

(٥) المرجع السابق.

مشتركة بين المتكلم والمتلقي، فالمتلقي له دور مهم في تحديد الضمير يتمثل في معرفته السابقة بالمضمر، وقد أشار إلى ذلك سيبويه بقوله: "وإنما صار الإضمار معرفة؛ لأنك إنما تضمره اسمًا بعدما تعلم أن من يُحدث قد عرف من تعني وما تعني، وأنك تريد شيئًا يعلمه"[١]، وكذلك قوله: "وإنما يضمر إذا علم أنك قد عرفت من يعني"[٢]، ومما يزيده قوة معنى الحذف، فالإضمار عند سيبويه قريب من معنى الحذف أي حذف المعلوم، يقوي ذلك تعريفه للضمير المستتر بأنه "الإضمار الذي ليست له علامة ظاهرة"[٣].

فالإحالة بالضمير هي أداة يلجأ إليها المرسِل في سبيل إقامة نصٍ متماسك، إذ ترتبط الإحالات بالجملة الأولى، ولا تعدو أن تكون الضمائر اختصارًا لبعض عناصر الجملة الأولى، الأمر الذي يسهل على المتلقي ربط عناصر النص بعضها ببعض[٤]، و "قد نجد في القرآن ما نعده مخالفة في الظاهر وإنما هو مطابقة بوجه من الوجوه، ونرى لهذه المخالفة تميزًا في الأسلوب يوقظ الانتباه ويوجه نظر المتلقي إلى الأسرار والمقاصد الكامنة والمعاني الطريفة التي تدل على الإعجاز القرآني"[٥]،وأشرنا سابقًا إلى دور المفسر.

كما أنها تملك من الخصائص ما أكسبها هذه القوة وسعة الانتشار عن غيرها[٦]، ومنها:

١-أنها مفرغة من الدلالة[٧]، فلا تحوي على شيء بذاتها، وإنما بما تشير إليه، أو تحيل عليه من صفة أو ذات أو شيء مفرد أو أشياء متعددة ومتنوعة، وعلى هذا فهي مفرغة من الدلالة، أو أنها غير ذات معنى، ما لم يتعين ما تشير إليه، فهي أشكال فارغة في المعجم الذي يمثل المقام الصفر[٨]، وهذا فيه نظر لأن الضمير وحدة لغوية لغوية ذات دلالة، وإلا فما يمنع المتكلم من اختيار وحدة لغوية غيرها إن لم تكن مختزنة لدلالة مناسبة

(١) الكتاب، سيبويه، (٦/٢).

(٢) المرجع السابق، (٨١/٢).

(٣) المرجع السابق، (٦/٢)

(٤) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٧٩).

(٥) ينظر: المرجع السابق، (٣٨٧-٣٨٦).

٦ ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٧٩).

(٧) ينظر: تحليل الخطاب، الزليطي، والتريكي، (٢٥٦).هذا ما ذهب اليه دي بوجراند، وبراون ويول.

(٨) ينظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، (١٦٦).

لمقصدة، فالضمائر لها معنى خطابي، ومعنى صرفي، ومعنى إعرابي، لذا يفضل القول أن الضمير (مبهم الدلالة) وليس (فارغ الدلالة)؛ ويرتبط بالإبهام عدم الوضوح، ونقصان الدلالة وليس فراغها، والافتقار إلى مفسر للضمير سواء كان اسمًا ظاهرًا أو غيره، يكسب الضمير صفة التعريف[١]، ومن ذلك ما يرى تمام حسان بأن الضمير في غالب الأحيان يشير إلى اسم ظاهر محدد الدلالة، وتحديد دلالة هذا الظاهر قرينة لفظية تعين الإبهام الذي كان الضمير يشتمل عليه لأن معنى الضمير وظيفي، وهو الحاضر أو الغائب على إطلاقهما، فلا يدل دلالة معجمية إلا بضميمة المرجع، وبوساطة هذا المرجع يمكن أن يدل الضمير على معين[٢].

٢- نظرًا لنقصان دلالة الضمير فإنه يلفظ غالبًا –في كثير من اللغات- بطبقة صوتية منخفضة في اللغة المنطوقة، فهي أصناف من العبارات المحلية التي ليس لها بروز صوتي ولفظي ملحوظ مما يميزها بالخفة، وبسبب خفتها أصبحت الضمائر هي الأدوات التي لا غنى لأي نظرية في الإحالة عن تفسيرها"[٣]، ومن ذلك السبب في تسميته "وإنما سمي مضمرًا من قولهم (أضمرت الشيء) إذا سترته وأخفيته، ومنه قولهم: (أضمرت الشيء في نفسي) أو من الضمور والهزال؛ لأنه في الغالب قليل الحروف، ثم تلك الحروف الموضوعة له غالبها مهموسة، وهي التاء والكاف والهاء، والهمس: هو الصوت الخفي"[٤].

٣- ألفاظ الضمائر أقصر غالبًا مما تحيل عليه من الألفاظ، وتتفق هذه الفكرة مع قانون زيف الذي أشار إليه دي بوجراند[٥] حيث يقول: "كلما كثر استعمال الكلمة تعرضت لأن تصبح أقصر" وقد أشارت العربية إليه مسبقًا؛ لأن الاختصار مذهب من مذاهب العربية"[٦]،إذًا الألفاظ الإحالية أقصر غالبًا مما تدل عليه، أو تشير تشير إليه من الألفاظ، فالمتأمل يلاحظ قصر الألفاظ عما تشير إليه.

---

(١) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٧٥-٣٧٤).

(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (١١١). ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٥١).

(٣) ينظر: تحليل الخطاب، الزليطي والتريكي، (٢٥٦).

(٤) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري، تصحيح: مُحَمَّد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، (٧٥).

(٥) النص والخطاب والإجراء، تمام حسان، (٣٢٠).

(٦) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٧٨).

٤-احتمالية توفر مطالب الاستعمال: فالضمير إذا اتصل قد يضيف إلى الخفة والاختصار عنصرًا ثالثًا هو الاقتصار، وهذه العناصر الثلاثة هي مطلب من مطالب الاستعمال اللغوي، ولما يتميز به الضمير المتصل من خفةٍ واقتصادٍ لفظي وصوتي، والاقتصاد والإيجاز هو مطلب من مطالب العربية[١].

٥-تتسع الإحالة بالضمائر في النصوص، فنجدها تحيل إلى مرجع سابق، أو إلى مرجع لاحق، ومرة تحيل إلى ما هو قريب، ومرة إلى ما هو بعيد، وتارة إلى معنى، وأخرى إلى ذات، وتارة إلى لفظ وأخرى إلى جملة أو جملة عديدة[٢].

٦-كفاءة الألفاظ الإشارية، حين تستعمل تلك الألفاظ للإشارة إلى قطع كبيرة من المعلومات[٣].

٧-يمكن أن يعطي اللفظ الإشاري معطىً جديدًا ليس في النص، فالمتكلم بإمكانه صياغة نصه بشكل يمكن أن يقدم فيه معلومات جديدة تفهم من طريقة الإشارة، وفي هذه الحالة يكون المتلقي مضطرًا لإضافة هذه المعلومات الجديدة إلى ذهنه؛ لتسوية الدلالة بين اللفظ المشير والمشار إليه[٤].

٨-يمكن للإحالة أن تُسهم في حدوث التناسق النصي من خلال الإيجاز، وتجنب الإطناب، وهو من تجليات عيوب الكلام[٥].

ومن أبرز الوظائف التي يؤديها الضمير في التماسك النصي:

١-الاقتصاد في الفقرة: حيث نستغني عن إعادة ذكر الاسم المفسر بالضمير، وقد يستتر الضمير فلا يظهر في النص، وإنما يلجأ الكاتب إلى عملية الإضمار حينما يطمئن إلى قدرة المتلقي على فهم العنصر المختصر في ضوء منطق النص[٦]، فالإحالة عملية استراتيجية عقلية يستند إليها الكاتب حين يقوم بعملية الاقتصاد في

---

(١) ينظر: البيان في روائع القرآن –دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، (١١٩).

(٢) ينظر: أثر الإحالة في تماسك القصص النبوي الشريف، خضير باسم خيري، مجلة الكلية الإسلامية، مجلد ١٠، عدد ١٨٥، ٢٠١٥م،(١٦-١٨).

(٣) ينظر: المرجع السابق.

(٤) ينظر: المرجع السابق.

(٥) ينظر: المرجع السابق.

(٦) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٥٩).

الفقرة، فالاقتصاد حاصل بالإضمار فقط من دون الإحالة، والإحالة هي مسوغ الاقتصاد عقليًا[١] وأصل وضع الضمير للاختصار، فهو يغني عن ذكر ألفاظ كثيرة، ويحل محلها مع سلامة المعنى وعدم التكرار"[٢].

٢-أمن اللبس: وذلك من خلال منع تحدد الدلالة على الماهية أو تحدد المعنى في الخارج[٣].

٣-المساعدة في تعيين العنصر المشار إليه وتحديده تحديدًا تامًا[٤]، من خلال الإحالة على عناصر سبق ذكرها في في النص (قبلية)، أو سيأتي ذكرها في النص (بعدية)، أو غير موجودة في النص (خارجية)، وهذا التحديد يسهم بدور فاعل في إزالة اللبس.

٤-إن الضمير يقوم بوظيفة التعويض المرتكز على الوحدات السياقية، حيث يعوض المشار إليه، ويحيل عليه، ويرتبط به، وفهمه رهين استحضار ذلك المشار إليه استحضار عهد أو إدراك حسي أو غيره[٥].

٥-الربط: وهي وظيفة التماسك الأساسية، ومن أبرز العلماء الذين تناولوا الضمير على أنه أداة مهمة للربط بين الجمل في النص هو ابن هشام الذي أفرد له مبحثًا خاصًا بعنوان: (روابط الجملة بما هي خبر عنه)[٦]، وقد جعل ابن هشام أصل تلك الروابط كلها ضمير، كما تحدث عن المواضع التي يعود الضمير فيها على متأخر لفظًا ورتبة[٧]، وهو ما يعرف بالإحالة البعدية.

٦- وهناك مزايا تختص بها ضمائر من دون أخرى، ومن ذلك:

أ. تأكيد النصيين على أن ضمير (هو) له ميزتان[٨]:

أولًا: الغياب عن دائرة الخطاب، وقد الإشارة له في أقسام الضمائر.

ثانيًا: القدرة على إسناد أشياء معينة.

---

(١) ينظر: نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عمر أبو خرمة، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، (١٧٣).

(٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان،(١٨٥).

(٣) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٥٩).

(٤) ينظر: نسيج النص، مُحَمَّد خطابي، (١١٨)، الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٦٠).

(٥) ينظر: نسيج النص، مُحَمَّد خطابي، (١١٨).

(٦) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومُحَمَّد علي حمد الله، دار الفكر، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م، (٤٧١).

(٧) مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري،(٤٦٤).

(٨) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٦٣).

ب.إن وجود ضمير الفصل[١] يعمل على توكيد محتوى السياق، ويرى ليفاندوفسكي أن هذه الوظيفة عامة ولا تختص بضمير دون غيره، وأشار الزمخشري إلى أن تلك الوظيفة في ضمير الفصل والإشارة كذلك، وأشار الجرجاني إلى أن تلك الوظيفة في ضمير الشأن[٢] أيضًا[٣].

ت.التفخيم والتعظيم الذي يختص به ضمير الشأن، فقد بين ابن يعيش الدافع المعنوي إلى استخدام هذا الأسلوب قائلًا: "وعادة العرب أن تصدر قبل الجملة بضمير مرفوع، ويقع بعده جملة تفسره وتكون في موضع الخبر عن ذلك المضمر، وإنما يفعلون ذلك عند تفخيم الأمر وتعظيمه، وأكثر ما يقع ذلك في الخطب والمواعظ لما فيها من الوعد والوعيد، ثم تدخل العوامل على تلك القضية"[٤].

رابعًا: القرائن المعينة على تعيين مرجعية الضمير وإزالة اللبس:

القاعدة العامة في العربية هي أن الضمير لا يأتي إلا بعد الاسم الظاهر، وقد جاء ما يخالف هذه القاعدة في القرآن الكريم، فانبرى النحاة المفسرون يبررون لذلك متعمدين على السياق اللغوي والمقامي في البحث عن مرجع الضمير وعن مطابقته له في النوع والعدد[٥]، بالاستعانة بعدة قرائن وهي:

١-القرينة الأولى: (مبدأ القرب): وهي أن يحيل الضمير على أقرب مذكور سابق: يُعتمد هذا المبدأ في تعيين مرجع الضمير ومفسره المناسب متى ما تجاذب الضميرَ مفسران أو أكثر، واشتهر بين النحاة قولهم: (الضمير يعود إلى أقرب مذكور سابق)[٦]، وضابط القرب هو: "أقرب مذكور صالح لغةً وعقلًا لعود الضمير إليه"[١]،

---

(١) يسميه البصريون فصلًا والكوفيون عمادًا، ويطلق الفراء مصطلح العماد أحيانًا على الشأن، تسمية البصريين له فصلًا لأنه فصل به بين المبتدأ والخبر، وتسميه الكوفيين له عمادًا لأنه يعتمد عليه في الفائدة، ينظر: التذييل والتكميل، أبي حيان الأندلسي، (٢/٢٨٥).

(٢) يسميه البصريون بضمير الشأن، والكوفيون بضمير المجهول، ينظر: المرجع السابق، (٢/٢٧١).

(٣) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٦٤).

(٤) شرح المفصل، ابن يعيش، (٤/٣٤٩)

(٥) ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (١٨٦)، حاول الدكتور طه حسين حل هذه المشكلة في الضمير المخالف للقاعدة، وعد ما ما خالف منه اسم إشارة أخذ يبرهن ذلك، في محاضرة ومقالة له بعنوان (ضمير الغائب واستعماله اسم إشارة في القرآن)، ورد عليه مُحَمَّد الخضر في كتابه (بلاغة القرآن)، ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٤٣٥).

(٦) ينظر: أمالي ابن الحاجب، جمال الدين ابن الحاجب الكردي، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، دار الجيل، بيروت،١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م (١/٢١٠)، ينظر: الاتقان، السيوطي، (٢/٣٣٧).

كما في إحالة الضمير في قوله تعالى:﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾(مريم:٢٤)، فقد رجح صاحب أضواء البيان عودة الضمير على عيسى عليه السلام بقرينتين إحداهما قرينة القرب فقال:" أن الذي ناداها هو ابنها عيسى، وتدل على ذلك قرينتان: الأولى أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه، وأقرب مذكور في الآية هو عيسى لا جبريل؛ لأن الله قال: فحملته، يعني عيسى فانتبذت به، أي بعيسى، ثم قال بعده: (فناداها) فالذي يظهر ويتبادر من السياق أنه عيسى، والقرينة الثانية أنها لما جاءت به قومها تحمله، وقالوا لها ما قالوا أشارت إلى عيسى ليكلموه، كما قال تعالى عنها:﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾(مريم:٢٩)، وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته"[٢].

٢-القرينة الثانية: القرينة المعجمية: تعد القرينة المعجمية من أقوى العلامات الدالة على الربط الإحالي في غير المركب العطفي[٣].

٣-القرينة الثالثة: القرينة النحوية: ونعني بها وظيفة حرف الجر خاصةً في ربط الضمير المفسر الملائم[٤]، ويقول دي بوجراند في إزالة اللبس في إحالة الضمير عن طريق هذه القرينة: "إن علاج ذلك يعني تحديد وظيفة الضمير، فإذا كان الضمير فاعلًا، فإن مجاله أن يعود على عائد يشغل وظيفة الفاعل، وكذلك الأمر إذا كان الضمير يشغل وظيفة المفعول به، فعائده لابد أن يشغل وظيفة المفعول"[٥].

٤-القرينة الرابعة: قرينة الموضوع: يقترح هاليداي ورقية حسن أن اللبس في حالات مبدأ القرب يمكن أن يُزال بالرجوع إلى المعنى، وإذا كان للنحو من أثر فمن المرجح أن يكون في الموضوع (Theme)[٦] أي المتحدّث

---

(١) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٤١٨-٤١٧).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، لبنان، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م، (٣٩٤/٣).

(٣) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٤٢٠).

(٤) المرجع السابق.

(٥) الدلالة والنحو، صلاح الدين صالح حسنين، (٢٥٢)

(٦) مصطلح (Theme) مصطلح مأخوذ من النحو الصوري، وهو ما يشير إلى العنصر المبدوء به في العبارة، إنه العنصر الذي حوله يترتب الكلام، وهو ما يعطيه الكاتب اهتمامه، وكل ما يأتي بعد الموضوع، (Theme) يسمى المحمول، ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٤٢١) الهامش.

عنه، لعلهم يقصدان بذلك أن النحو يمكن أن يصوغ مبدأً تداوليًا مضمونه:(الضمير يعود على مفسر هو محور الحديث)، وهو ما أشار إليه النحاة القدامى أن إعادة الضمير إلى المتحدث عنه أولى من إعادته إلى الأقرب، ويعرف هذا بمبدأ التحاول(coreference)، وهو الآصرة الكلية التي تجمع مكونات الخطاب مضموم بعضها إلى بعض، فهي علاقة (دينامية) بين ضمير ومفسره، تتغير كلما أدرجت ذات خطابية جديدة"[1].

إحصاء الإحالة بالضمير في قصة مريم عليها السلام:

العناصر الإشارية والإحالية في قصة مريم عليها السلام من سورة آل عمران من الآية (٣٥) إلى (٣٧)، ومن الآية (٤٢) إلى (٤٧):

١- ﴿امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ وهي العنصر الإشاري العامل الأول في القصة، فقد ورد بالجملة الأولى من القصة، وتعود إليها مجموعة من العناصر الإحالية، وهي (ربِ، وإن(ي)، ونذر(ت)، وبطن(ي)، ومن(ي)، وضع(ت)(ها)، وقالت(هي)، وربِ، وإن(ي)، وضع(ت)(ها)، ووضع(ت)، وإن(ي)، سمي(ت)(ها)، وإن(ي)) وجمعيها إحالة داخلية قبيلة، ثم انقطعت سلسلة الإحالات المتصلة بها حتى نهاية القصة.

وتعد (امرأت عمران) هي العنصر الإشاري الثاني من حيث الترتيب في عدد الإحالات إذ بلغت سبع عشرة إحالة، وجميعها من الإحالة الداخلية القبلية، واقتصر امتدادها على بداية القصة.

٢-الذات الإلهية: العنصر الإشاري العامل الثاني في القصة، وتعود إليه مجموعة من العناصر الإحالية، وهي (لـ(ك)، وتقبل(هو)، وإن(ك)، أنت، وبـ(ك)، وفتقبلها(هو)، وأنبتها(هو)، ويرزق(هو)، ويشاء(هو)، ونوحيه(نحن)، ومن(ه)، ويخلق(هو)، ويشاء(هو)، وقضى(هو)، ويقول(هو))، فبلغت كذلك خمس عشرة إحالة وجميعها إحالة داخلية قبليه، وامتدت سلسلة الإحالات من أول آية في القصة إلى الآية الأخيرة.

٣-﴿مَرْيَمَ﴾ وهي العنصر الإشاري العامل الثالث في القصة، وتعود إليها مجموعة من العناصر الإحالية، وهي (وضعتها)، وسميتها)، وأعيذ(ها)، وذريت(ها)، وفتقبلها)، وربها)، وأنبتها)، وكفلها)، وعليها)،

[1] المرجع السابق، (٤٢٣-٤٢١).

وعند(ها)، ولـ(ك)، وقالت(هي)، واصطفا(ك)، وطهر(ك)، واصطفا(ك)، واقتنـ(ي)، ولربـ(ك)، واسجد(ي)، واركعـ(ي)، ويبشر(ك)، وقالت(هي)، وربِ، ولـ(ي)، ويمسسنـ(ي)، وكذلـ(ك))، جميعها إحالة داخلية قبيلة، وامتدت سلسلة الإحالة مشكله حلقة ربط بين أجزاء القصة.

وتعد (مريم) هي العنصر الإشاري الأول من حيث الترتيب في عدد الإحالات إذ بلغت خمسًا وعشرين إحالة، مما يجعلها البؤرة النصية لمحور آيات النص القصصي.

٤- ﴿زَكَرِيَّا﴾ وهو العنصر الإشاري العامل الرابع في القصة، ويعود إليه ثلاثة عناصر إحالية، وهي: (دخل(هو)، وجد(هو)، وقال(هو))، وجميعها إحالة قبلية، ربطت أجزاء القصة على المدى القريب.

٥- ﴿رِزْقًا﴾ وهو العنصر الإشاري غير العامل الأول، ويعود إليه عنصر إحالي واحد، وهو:(هو) وهو بذلك لا يسهم بشكل بسيط في تماسك النص.

٦- ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ وهو العنصر الإشاري غير العامل الثاني، ويعود إليه ثلاثة عناصر إحالية وهي: (قالـ(ت)، قالـ(ت)، قال(هو))، وأسهم في تماسك النص لأنه من نوع الإحالة الداخلية القبلية ذات المدى البعيد فقد تجاوز العديد من المجموعات التركيبية.

٧- النبي ﷺ وهو العنصر الإشاري العامل الخامس وهو العنصر الخارجي الأول في هذا الجزء من القصة، وتعود إليه ثلاثة عناصر إحالية (إليـ(ك)، وكنت(أنت)، وكنت(أنت))، والإحالة الخارجية فيها تسهم بربط أجزاء القصة الموزعة على السور الأخرى.

٨- خدمة البيت، أو العلماء والأحبار وكتاب الوحي[1]، وهم العنصر الإشاري العامل السادس، والعنصر الخارجي الثاني في القصة، وتعود إليهم مجموعة من العناصر الإحالية التي بلغت ستَّ إحالات، وهي (لدي(هم)، يلقـ(و)ن، أقلامـ(هم)، أيـ(هم)، لدي(هم)، يختصمـ(و)ن).

٩- ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وهو العنصر الإشاري العامل السابع في القصة، ويعود إليه عنصرين إحاليين هما: (اسمـ(ه)، ويكلم(هو))، والإحالة الأولى بعدية والثانية قبلية.

(١) التفسير الكبير (٨/٥١).

١٠- ﴿أَمْرًا﴾ وهو العنصر الإشاري العامل الثامن في القصة، ويعود إليه ثلاثة عناصر إحالية، وهي:(لـ(ه)، كن (أنت)، فيكون(هو)).

فبلغ عدد الإحالة بالضمير في قصة مريم عليها السلام في سورة آل عمران ثماني وسبعين إحالة.

العناصر الإشارية والإحالية في قصة مريم عليها السلام من سورة مريم من الآية (١٦) إلى (٢٩):

١-البني ﷺ، وهو العنصر الإشاري غير العامل الأول في القصة وهو عنصر خارجي، فقد ورد بالجملة الأولى من القصة، ويعود إليه عنصر إحالي واحد، وهو (اذكر(أنت)).

٢-﴿مَرْيَمَ﴾ وهي العنصر الإشاري العامل الأول في القصة، وتعود إليه مجموعة من العناصر الإحالية، وهي (انتبذت(هي)، أهلـ(ها)، اتخذت(هي)، إليـ(ها)، لـ(ها)، قالت(هي)، إنـ(ي)، ربـ(ك)، لـ(ك)، قالت(هي)، لـ(ي)، يمسسنـ(ي)، أكِ(أنا)، كذلـ(ك)، ربـ(ك)، حملتـ(ه)، انتبذت(هي)، فأجاءـ(ها)، قالت(هي)، ليتنـ(ي)، متـ(أنا)، كنت(أنا)، فنادىـ(ها)، تحتـ(ها)[1]، تحزنـ(ي)، ربـ(ك)، تحتـ(ك)، هزـ(ي)، إليـ(ك)، عليـ(ك)، كلـ(ي)، اشربـ(ي)، قرـ(ي)، قولـ(ي)، إنـ(ي)، نذرـ(ت)، ترـ(ي)ن، أكلم(أنا)، فأتـ(ت)، قومـ(ها)، جئـ(ت)، أبو(ك)، أمـ(ك)، أشارت(هي))، وجميعها إحالة داخلية قبليه، صانعةً سلسلة إحالية ابتدأت من أول آية في القصة حتى آخر آية.

تعد مريم عليها السلام العنصر الإشاري الأول من حيث الترتيب الزمني في عدد الإحالات فقد بلغت أربعًا وأربعين إحالة، محددةً بذلك بؤرة النص الذي يدور حوله القصص القرآني، وساعد هذا العدد من الإحالات بزيادة قوة التماسك النصي في هذا النص القرآني.

٣-﴿ أَهْلِهَا﴾وهم العنصر الإشاري غير العامل الثاني في القصة، وهو عنصر خارجي وله عنصر إحالي وحيد وهو (دونـ(هم)).

٤-الذات الإلهية العنصر الإشاري العامل الثاني في القصة، وتعود إليه العناصر الإحالية الآتية (أرسلنا(نحن)، روحنا(نحن)، هو، نجعله(نحن)، مـ(نا)، ناداها(هو)، فبلغت ستَّ إحالات جميعها إحالة داخلية قبليه.

[1] ويذهب الزمخشري إلى أن مرجعية الـ(ها) هي النخلة، ينظر: الكشاف، الزمخشري، (٦٣٥/١٦)

٥-﴿ رُوحَنَا﴾ وهي العنصر الإشاري العامل الثالث في هذه القصة، وتعود إليها مجموعة من العناصر الإحالية، وهي (تمثل(هو)، منك)، كنت(أنت)، قال(هو)، أنا، أهب(أنا)، قال(هو)، قال(هو)، علي))، فبلغت تسع إحالات، وجميعها إحالة داخلية قبلية.

٦-﴿غُلَامًا﴾ وهو العنصر الإشاري العامل الرابع في القصة، ويعود إليه مجموعة من العناصر الإحالية، وهي (يكون(هو)، نجعله)، كان(هو)، حملته)، به)، به)، تحمله)، إليه)، كان(هو)) فبلغت تسع إحالات، جميعها إحالة داخلية قبيلة.

٧-﴿قَوْمَهَا﴾ وهم العنصر الإشاري العامل الخامس في القصة، وتعود إليهم العناصر الإحالية (قال(وا)، قال(وا)، نكلم(نحن))، فبلغت (٣) إحالات وجميعها إحالة داخلية قبيلة.

فبلغ عدد الإحالة بالضمير في قصة مريم عليها السلام في سورة مريم ثلاثًا وسبعين إحالة.

العناصر الإشارية و الإحالية في قصة مريم عليها السلام من سورة الأنبياء الآية (٩١):

١-مريم عليها السلام وهي العنصر الإشاري العامل الأول في القصة، وتعود إليها العناصر الإحالية (أحصنت(هي)، فرج(ها)، فيه(ها)، جعلنا(ها)، ابن(ها))، فبلغت (٥) إحالات، وجميعها إحالة داخلية قبلية.

٢-الذات الإلهية العنصر الإشاري العامل الثاني في القصة، وتعود إليه العناصر الإحالية (نفخنا(نحن)، روح(نا)، جعل(نا))، فبلغت ثلاثة إحالات وجميعها إحالات خارجية.

فبلغ عدد الإحالة بالضمير في قصة مريم عليها السلام في سورة الأنبياء ثماني إحالات.

العناصر الإشارية والإحالية في قصة مريم عليها السلام من سورة المؤمنون الآية (٥٠):

١-الذات الإلهية: العنصر الإشاري العامل الأول في القصة، وتعود إليه العناصر الإحالية (جعل(نا)، آويناهما(نحن)) فبلغت إحالتين من نوع الإحالة الخارجية.

٢-﴿ابْنَ مَرْيَمَ﴾ العنصر الإشاري العامل الثاني في القصة وتعود إليه العناصر الإحالية (أمه)، آوينا(هما)) فبلغت إحالتين من الإحالة الداخلية القبلية.

٣-﴿وَأُمَّهُ ﴾العنصر الإشاري الغير عامل الأول في القصة ويعود إليها عنصر إحالي واحد(آوينا(هما)).

فبلغ عدد الإحالة بالضمير في قصة مريم عليها السلام في سورة المؤمنون خمس إحالة.

العناصر الإشارية والإحالية في قصة مريم عليها السلام من سورة التحريم الآية (١٢)

١-﴿مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ العنصر الإشاري العامل الأول في هذه القصة، وتعود إليها مجموعة من العناصر الإحالية (أحصنت(هي)، فرج(ها)، فيه[١]، صدقت(هي)، رب(ها)، كانت(هي))، فبلغت ستَّ إحالات جميعها إحالة داخلية قبلية

٢-الذات الإلهية العنصر الإشاري العامل الثاني في القصة، وتعود إليه العناصر الإحالية (نفخنا(نحن)، روح(نا)، كتب(ه))، فبلغت ثلاثة إحالات من نوع الإحالة الداخلية القبلية.

فبلغ عدد الإحالة بالضمير في قصة مريم عليها السلام في سورة التحريم (٩) إحالة.

بلغ عدد الإحالات في قصة مريم عليها السلام مئة وثلاثًا وسبعين إحالةً جميعها داخلية، عدا ست عشرة إحالة خارجية أدَّت وظائف تماسكيَّة، مختلفة وربطت بين الآيات رغم انفصالها بآيات أخرى، وأضفت لها القوة، وأسهمت في انعاش الذاكرة، وتجنب التكرار، والبعد الإحالي أسهم في ربط قصص متداخلة من حياة مريم عليها السلام فربط ولادة أمها لها بقبول الله لها وكفالة زكريا واصطفى الله لها، وتبشيرها بعيسى عليه السلام، بسلسلة تماسكية من الآية الأولى في القصة إلى الآية الأخيرة فيها.

[١] سبق ذكر الخلاف في مرجعية الضمير في (فيه).

الوسيلة الثانية: أسماء الإشارة:

أولًا: مفهوم الإشارة: قال القرطبي: "الإشارة بمنزلة الكلام وتفهم ما يفهم القول"[١].

وفي اصطلاح العلماء: اسم الإشارة "هو أداة إيجاز تشير إلى الأشياء والأوصاف والأفعال والأحداث الكثيرة بلفظ وجيز"[٢].

والإشارة (Deixis) في الدرس اللغوي الحديث مفهوم لساني واسع لا ينحصر في اسم الإشارة فحسب، بل يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ الذي يرتبط به معناه[٣].

وتعد أسماء الإشارة الوسيلة الثانية من وسائل الإحالة، وهي تتساوي مع ضمير الغائب في الضمائر؛ إذ إنها تحيل إلى عنصر إشاري داخل النص فـ "هي مقيدة بدلالتها الإشارية التي تتضمنها وتحتاج لما يساندها من علاقات نحوية داخلية، تمنحها قوة الضمير الإحالية، وتضيف إليها قوة أخرى إشارية يحتاجها السياق"[٤].

وقد عد النحاة الإشارة من المبهمات؛ لتعلقها بغيرها، وأطلقوا عليها مصطلح (الاسم المبهم)[٥]؛ لأن دلالتها تظهر في ما تحيل عليه، وتدل كذلك على مدى القرب والبعد من المتكلم، وعلل النحاة سبب إبهامها بأنها" لا تخص شيئا دون شيء"[٦]، ويقول ابن يعيش: "ويقال لهذه الأسماء: مبهمات؛ لأنها تشير بها إلى كل ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء، فتلبس على المخاطب، فلم يدر إلى أيها تشير، فكانت مبهمة لذلك ولذلك، لزمها

---

(١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، شارك في تحقيق هذا الجزء: مُحَمَّد الخن ومُحَمَّد معتز كريم الدين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، (٤٤٨/١٣)

(٢) المباحث البلاغية في تفسير الطبري، محمود الزين، نقلًا عن: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٤٩٤).

(٣) المرجع السابق.

(٤) ينظر: لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (١٩).

(٥) الكتاب، سيبويه، (٧٧/٢-٧٨)

(٦) ينظر: المقتضب، أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد المبرد، تحقيق: مُحَمَّد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، (١٨٦/٣).

البيان بالصفة عند الإلباس"[١]، فدلالة هذه العناصر تتعلق بالمقام الإشاري لأنها غير ذات معنى، ما لم يتعين ما تشير إليه، فهي أشكال فارغة في المعجم الذي يمثل المقام الصفر، وتقوم بوظيفة تعويض الأسماء، وتتخذ محتوى مما تشير إليه[٢].

ونصوا كذلك على أن الإشارة تتعرف بمذكور سابق بقولهم: "ومعنى الإشارة الإيماء إلى حاضر بجارحة أو ما يقوم مقام الجارحة، فيتعرف بذلك، فتعريف الإشارة أن تخصص للمخاطَب شخصًا يعرفه بحاسة البصر، وسائر المعارف هو أن تختص شخصًا يعرفه المخاطَب بقلبه، وهذا ما دعا الكوفيين للقول بأن الأسماء المبهمة أعرف من العلم؛ وذلك لأن أسماء الإشارة تتعرف بشيئين: بالعين وبالقلب"[٣]، والأصل فيها "ألا تشير إلا إلى مشاهد محسوس، قريب أو بعيد، فإن أشير بها إلى محسوس غير مشاهد فلتصييره كالمشاهد، وكذلك إن أشير بها إلى ما يستحيل إحساسه ومشاهدته"[٤].

ثانيًا: أنواع الإشاريات:

١-الإشاريات الشخصية (Personal Deixis): ويختص هذا النوع من الإشاريات، بالإشاريات الدالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب، نحو: أنا، وأنت، وهو[٥].

وأنزلوا هذه الإشارات منازل بين المعارف "فأعرف المضمرات المتكلم؛ لأنه لا يوهمك غيره، ثم المخاطب، والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة"[٦] ؛ ولا يتلفظ المرسل بضمير المتكلم ابتداءً في خطابه، خصوصًا

(١) شرح المفصل، ابن يعيش، (٣٥٢/٢).
(٢) ينظر نسيج النص، الأزهر الزناد، (١١٦).
(٣) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، (٣٥٢/٢).
(٤) ينظر: شرح الرضي على الكافية، (٤٧٢/٢).
(٥) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٥٠١).
(٦) شرح المفصل، ابن يعيش، (٢٩٢/٢)

خصوصًا عند اجتماعه بالمرسل إليه؛ لأن "ضمير المتكلم وضمير المخاطب تفسيرهما المشاهدة"[١]، وعد النحو العربي الضمائر المستترة ضربًا من الإشاريات التي تدرك الإحالة عليها من السياق[٢].

٢-الإشاريات المكانية(Temporal Deixis):نحو «هنا، وهنالك». ويختص هذا النوع من الإشاريات بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقًا من الحقيقة القائلة إن هناك طريقتين رئيسيتين للإشارة إلى الأشياء، هما إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى[٣].

٣-الإشاريات الزمانية (Spatial Deixis): نحو: «الآن». ويختص هذا النوع بزمن الإشارة، وتعد "لحظة التلفظ هي المرجع؛ لذا يجب أن تربط الزمن بالفعل ربطًا قويًا في مرحلة أولى، ونربط كذلك بين الزمن والفاعل؛ لأهميته الكبرى في المرحلة الثانية"[٤].

ثالثًا: أركان الإشارة:

ويمكن استنتاجها من نص الرضي إذ يقول: "اسم الإشارة في الأصل ما يشار به للمخاطب إلى شيء، فهو في أصل الوضع لغير المخاطَب، ولهذا يؤتى فيه بحروف الخطاب...، فتحوشي في بعض الأماكن من أن يدخله حرف يجعله مخاطبًا أي حرف نداء"[٥]، فهي بذلك أربعة أركان: اسم إشارة، ومشير، ومشار إليه، ومشار به.

رابعًا: دور الإحالة بأسماء الإشارة في التماسك النصي:

تعد البنية الإشارية عملية (أو عملًا لغويًا أو معنى) يحدثها المتكلم (المشير) للمخاطب (المشار له)[٦]، فهي بذلك تصنع اتصالًا خارجيًا، ويصنع -الاتصال الخارجي- دورًا تماسكيًا بكون المشار إليه قد تقدم ذكره، فقد

---

(١) ارتشاف الضرب، أبي حيان الأندلسي، (٩٤١/٢)

(٢) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٥٠٢).

(٣) استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية-، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، (٨٤)

(٤) المرجع السابق، (٨٣).

(٥) شرح الرضي على الكافية (٣٧٦/١).

(٦) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٥٠٧).

ذهب الرضي إلى أن اسم الإشارة (ذلك) "يصح أن يشار به إلى كل غائب عينًا كان أو معنى، يحكى عنه أولًا ثم يؤتى باسم الإشارة"[١]، ولا يكون لها دور تماسكي متى كانت الإشارة إشارة حسية أو كان رفع الإبهام عنها حضوريًا[٢]، فتصبح فائدتها الإحالة إلى معلومات قديمة تم التلفظ بها، وأصبحت جزءًا من المعلومات المشتركة[٣]، وتقوم الإشاريات على تحديد سياق المتكلم فهي "تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفرق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه"[٤]، وهي بذلك تؤدي وظائف، أبرزها:

١-التحكم في مواضيع الخطاب: وهذه الوظيفة تعد الأساس عند كرستن بروستاد؛ إذ يقول: إنَّ "الوظيفة الأساسية لأسماء الإشارة هي التحكم في مواضيع الخطاب، فأسماء الإشارة تحدد الوحدات التي تلعب دورًا مهمًا في الخطاب وتبروزها وتستدعيها وتقارن فيما بينها... تؤدي أسماء الإشارة تلك الوظيفة وتحيل إلى الوراء وتستدعي الموضوع وتحدده وتقارن الإشاريات، ومعظم أسماء الإشارة تحيل إلى الوراء"[٥] ويرى أنه يجب التمييز بين أسماء الإشارة التي تحمل معنى المقارنة والتي لا تحمل، فيما يرى كروفت "أن هناك فرقًا بين أدوات الإشارة الإحالية وأسماء الإشارة العادية، وهو أن أدوات الإشارة الإحالية تختلف عن أسماء الإشارة في أنها لا تستخدم في الإشارة إلى أشياء سهلة التحديد على الرغم من أنها لم تذكر سلفًا"[٦].

٢-التوكيد: ويؤكد هذه الوظيفة الزمخشري فهي وظيفة عامة في الإحالة، وتؤكد رؤية ليفاندوفسكي "تتحقق وظيفة الإشارة التوكيد على وجه الخصوص باعتباره يشير مباشرة ويحدد المشار إليه المفسر، ومن خلال هذا

---

(١) شرح الرضي على الكافية (٤٧٨/٢)

(٢) أصول الخطاب (١٠٦٧/٢) نقلًا عن: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٥١٣).

(٣) استراتيجيات الخطاب—مقاربة لغوية تداولية-، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٨١)

(٤) المرجع السابق.

(٥) قواعد اللهجات العربية الحديثة، كرستن بروستاد، ترجمة: مُحَمَّد الشرقاوي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م (١١٢)

(٦) المرجع السابق، (١١٥)

التحديد يؤكد المحتوى من خلال هذه الإشارة"[١]، فقد يحصل التوكيد بزيادة ضمير، وقد يحصل بزيادة المبنى في اسم الإشارة، فقد ذكر السهيلي أنهم ربما زادوا اللام للتوكيد في (ذلك) و(تلك)[٢].

٣-الربط: وقد تنبه ابن هشام لأهميتها في تماسك وترابط النص وأفرد مبحثًا خاصًا في ذلك بعنوان: (روابط الجملة بما هي خبر عنه) [٣]، وجعل الإشارة ثاني الروابط، وتظهر هذه الوظيفة متى كان المشار إليه متقدمًا في الذكر، وتعد هذه الوظيفة من الوظائف التي تشترك فيها الضمائر مع أسماء الإشارة، وأشار إلى ذلك هولمان بقوله: "إن ضمائر الإشارة ماهي إلا بعض الصرفيميات التي يمكن من خلالها ربط أجزاء الكلام والمحافظة عليه من هذه الناحية –الربط- ويحدد ويعين البحث في ضمائر الإشارة البحث في الضمائر الشخصية في أن كلًا منهما يوضح ترتيب الاختلافات في قاعدة الضمائر ويحافظ ويبقى على الربط القائم في النص"[٤]، فيما وضح ابن يعيش الفرق بين اسم الإشارة والضمائر بقوله: "إن المضمر في الغائب يبين بما قبله، وهو المظهر الذي يعود عليه المضمر، نحو قولك: "زيد مررت به"، والمبهم الذي هو اسم الإشارة يفسر بما بعده، وهو اسم الجنس كقولك: "هذا الرجل والثوب""[٥]، أي إنه يرى أن الوظيفة التي تشترك فيها هي الإحالة، فيما يرى التفتازاني أن الفرق أن إحالة اسم الإشارة إحالة ذهنية محددة إلى شيء محدد، بخلاف الضمائر تحيل من خلال الكناية[٦]، والصفة الجامعة بينهما كذلك الإبهام هو صفة جمعت بين الإشارة والضمير "فكلاهما يحيل إلى سابق ولاحق، وكل من اسم الإشارة وضمير لا يمكن أن يقوم بوظيفته منفردًا، ولا بد أن يعمل من خلال وجوده في نص ما، أو على الأقل داخل تركيب؛ ليتسنى له أن يوجد ما يوضحه ويزيل إبهامه" [٧] والبناء في اسم الإشارة إنما كان بسبب الشبه الكبير بينه وبين الضمير.

---

(١) البنية الدلالية والإحالية للضمائر، أشرف عبد البديع عبد الكريم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، علوم اللغة، مجلد: ٩، العدد: ٣، ٢٠٠٦م، (٩٨).

(٢) ينظر: نتائج الفكر في النحو، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، (١٧٨)

(٣) مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، (٤٧١).

(٤) قواعد اللهجات العربية الحديثة، كرستن بروستاد، (٩٣)

(٥) شرح المفصل، ابن يعيش، (٣٤٨/٣).

(٦) ينظر: حاشية التفتازاني على الكشاف (٢٦)، نقلاً عن: البنية الدلالية والإحالية للضمائر، أشرف عبد البديع عبد الكريم، (٩٤)،

(٧) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٥٣٥).

وهذا الشبه الكبير هو ما دفع بعض اللغويين المحدثين إلى تسمية اسم الإشارة بـ(ضمير الإشارة)، كما نجد عنده دكتور تمام حسان والدكتور سعد بحيري وغيرهما" [١] "استخدم الدكتور تمام حسان وغيره مصطلحيْ «ضمير الإشارة»، و«ضمير الموصول» للتعبير بهما عن اسم الإشارة الاسم الموصول إنما كان مقتبسًا من الإنجليزية، واستعمل مصطلح العهد الذكري للتعبير عن الربط الإحالي للإشارة[٢]، وإذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه، فإن أسماء الإشارة تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهي تمامًا مثلها لا تفهم إلا إذا ربطت بما تشير إليه، ويجري تقسيمها في العربية إلى أقسامها المعروفة باعتماد المسافة (قربًا وبعدًا) من موقع المتكلم في المكان أو الزمان"[٣].

٤- الإبانة والتوضيح: أشرنا إلى أن معنى الإشارة مبهم ويفتقر إلى ما يتعلق به فيبين معناه، ففي ذلك يقول ابن يعيش: "ويقال لهذه الأسماء: مبهمات؛ لأنها تشير بها إلى كل ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء، فتلبس على المخاطب، فلم يدر إلى أيها تشير، فكانت مبهمة لذلك ولذلك، لزمها البيان بالصفة عند الإلباس"[٤]، فاسم الإشارة وحدة غير كافية للوصول للمعنى؛ "فاللفظ وحده إذن غير كافٍ لأداء المدلول منه، وإنما يلزمه بيان وتفسير أو توضيح وتحديد"[٥].

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، حسان تمام،(١١٠)، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، (١٤٣).

(٢) اجتهادات لغوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، (٥٦).

(٣) ينظر: نسيج النص، محمد خطابي، (١١٨).

٤ شرح المفصل، ابن يعيش، (٣٥٢/٢).

٥ دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة، سعيد بحيري، (١٤٤).

خامسًا: مراتب الإشارة:

المرتبة	الأداة	سبب الزيادة
قريب	ذا، ذي، ذهي، ذِهِ، ذِه، ذات، تي، تهي، تهِ، تا (للمفرد) ذان، تان (للمثنى) أولاء، أولى (للجمع) هنا (للمكان)	لا يوجد زيادة.
متوسط	ذاك، تيك (للمفرد) ذانك، تانك (للمثنى) أولئك (للجمع) هناك (للمكان)	زيادة الكاف، لأن زيادة المبنى تفضي لزيادة المعنى.
بعيد	ذلك، تلك، تالك (للمفرد) أولالك (للجمع) هنالك (للمكان)	زيادة اللام للكاف، كثروا الحروف حين كثرت مسافة الإشارة[1]

فالمكون (ذلك) يتركب من (ذا) اسم الإشارة، و(الكاف) علامة الخطاب التي تبين أحوال المخاطب من إفراد، وتثنيه، وجمع، وتذكير، وتأنيث، "الكاف الداخلة على اسم الإشارة هي كاف الخطاب، أي إنها تفيد الخطاب دون الاسمية؛ لأن الكاف اللاحقة بأسماء الإشارة عند النحاة للخطاب دون معنى الاسمية [2]، والذي يدل على تجردها من معنى الاسمية أنها لو كانت باقية على اسميتها لكان لها موضع من الإعراب؛ إما رفع أو نصب أو خفض ... ودليل حرفية الكاف إثبات النون معها في (ذانك) و (تانك)[3]، فيما قال فيها ابن هشام: "الكاف فإنها دالة على المخاطب، وليست ضميرًا باتفاق البصريين، وإنما هي حرف لا محل له من الإعراب...

(١) نتائج الفكر، عبد الرحمن السهيلي، (١٧٨)

(٢) شرح المفصل، ابن يعيش، (٣٦٣/٢).

(٣) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، (١٤٦).

قلت لا نسلم أنها دالة على المخاطَب وإنما هي دالة على الخطاب؛ فهي حرف دال على معنى، ولا دلالة له على الذات ألبته، وكذلك الياء في (إياي) والكاف في (إياك) والهاء في (إياه) ليست مضمرات، وإنما هي حروف دالة على مجرد التكلم والخطاب والغيبة، والدال على المتكلم والمخاطب والغائب وإنما هو (أيا)، ولكنه لما وضع مشتركًا بينها وأرادوا بيان من عَنوا به احتاج إلى قرينة به تبين المعنى المراد منه"[١]، أما اللام فقد زيدت لتدل على بعد المشار إليه، وقد كسرت حركتها لسببين: الأول: التقاء الساكنين، الثاني: أمن اللبس"[٢].

والأصل في الإشارة (ذا)، وأما دخول (ها) التي هي للتنبيه على هذه الأسماء فلأن المخاطب يحتاج إلى تنبيهه على الاسم الذي يُشير به إليه؛ لأن الإشارة قرائن حال يحتاج إلى أن ينظر إليها، فالمتكلم كأنه آمر له بالالتفات إلى المشار إليه أو منبه له، فلذلك اختص هذا الموطن بالتنبيه، وقلما يتكلمون به في المبهم الغائب؛ لأن كاف الخطاب تغني عنها، مع أن المخاطب مأمور بالالتفات بلحظة إلى المبهم الحاضر، فكان التنبيه في أول الكلام أولى بهذا الموطن؛ لأنه بمنزلة الأمر الذي له صدر الكلام"[٣]، وإذا أرادوا تعظيم الأمر والمبالغة في إيضاح المقصود جمعوا بين التنبيه والإشارة، وقالوا: (هذا وهذه وهاته وهاتا وهاتي) فـ(ها) للتنبيه، و(ذا) للإشارة، والمراد: تنبه أيها المخاطب لمن أشير إليه، وتسقط ألفه في الخط لكثرة الاستعمال، وهي ثابتة لفظًا" [٤]، "يرى السهيلي أن معنى الإشارة ليس هو العامل، وإنما العامل هو فعل تقديره: «انظر»، وأضمر لدلالة الحال عليه من التوجه واللفظ"[٥].

والأصل في استعمال اسم الإشارة أن يشار إلى المحسوس القريب باسم إشارة مجرد من اللام والكاف، وأن يشار للبعيد باسم إشارة مقترن بالكاف، أو باللام والكاف، وقد حدد الزمخشري مدى الإشارة بشكل عام حين جعل (ذا) للقريب، و(ذاك) للمتوسط، وذلك (للبعيد)[٦]، وذهب إلى ذلك ابن يعيش كذلك ويرى أن الزيادة

---

(١) شرح شذور الذهب، ابن هشان الأنصاري، (٧٥).

(٢) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، (٣٦٥/٢).

(٣) ينظر: نتائج الفكر، عبد الرحمن السهيلي، (١٧٨-١٧٩).

(٤) شرح المفصل، ابن يعيش، (٣٦٦/٢).

(٥) نتائج الفكر، عبد الرحمن السهيلي، (١٧٩).

(٦) شرح المفصل، ابن يعيش، (٣٦٥/٢).

تفيد "قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى" [١]، "فدلالة لفظ الإشارة في صورته المجردة (ذا) الإيماء إلى حاضر (المعنى الأساسي)، فإذا أضيف إليه الكاف (قوة اللفظ) تمكن في الإشارة إلى ما هو أبعد من الحاضر، أي الإشارة إلى متنح متباعد (قوة المعنى)، ثم إذا زيدت اللام (أي زادت قوة اللفظ) باجتماع الكاف واللام مع اسم الإشارة زاد التباعد، أي وصلت الإشارة إلى أبعد مدى، وهو معنى أقوى مما سبق، ولم يتوفر إلا بتلاحم تلك العناصر الثلاثة معًا" [٢]

وقد رفض بعض النحاة الرتبة المتوسطة مقتصرين على القريب والبعيد[٣]، ولعلهم لهذا الرأي نسبة إلى ما ورد عن الفراء إذ "زعم ان ترك اللام هي لغة تميم"[٤]، وهو ما يدل على أن للإشارة مرتبتين فقط: قربى وبعدى، وهذا الأمر يجري كثيرًا طبقًا لواقع التأثير والتأثر بين اللهجات أو اللغات" [٥]

ويرى تمام حسان أن الإشارة في معظم أحوالها صالحة لمعاقبة ضمير الفصل للغائب، فإذا أردت ربط الخبر في المبتدأ فإنك تضع الإشارة في موضوع ضمير الفصل[٦].

أما بالنسبة لنيابة اسم الإشارة عن الاسم الموصول فهو من المسائل الخلافية بين المدرستين: فالبصريون لا يجيزون استعمال أسماء الإشارة اسمًا موصولًا، إلا (ذلك) وبشروط: ألا تكون للإشارة، وألا تكون «ذا» ملغاةً، وأن يتقدمها استفهام بـ(ما) باتفاق، أو بـ(مَن) على الأصح. والكوفيون: ذهبوا إلى أن (ذا) وجمع أسماء الإشارة

(١) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، (١٤٩).

(٢) المرجع السابق.

(٣) نسب الصفار هذا الرأي إلى سيبويه (١/١٨٥)، وذهب إليه أنس فجال في كتابه (٥٢٥).

(٤) المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل، تحقيق: محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، (١/١٨٥).

(٥) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٥٢٩).

(٦) ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، (١/١٢١).

تستعمل موصولة، والصور ما ذهب إليه البصريون بأن (هؤلاء، وتلك، وهذا) أسماء إشارة، وليست أسماءً موصولةً. وقد رد ابن الأنباري وابن يعيش ما احتج به الكوفيون [١].

سادسًا: تقسيم أسماء الإشارة:[٢]

ضمائر إشارة للمذكر	ضمائر إشارة للمؤنث	ضمائر إشارة للمفرد	ضمائر إشارة للمثنى	ضمائر إشارة للجمع	ضمائر إشارة للقريب	ضمائر إشارة للبعيد
هذا	هذه	هذا	هذان	هؤلاء	هذا	تانك
هذان	هاتان	هذه	هاتان	أولئك	هذه	ذلك
هؤلاء	تلك	ذلك	ذانك	تيك	هذان	أولئك
ذلك	تيك	تلك			هاتان	ذنك
أولئك					هؤلاء	تلك
ذانك						تيك

أما مُحَمَّد خطابي "فقد جعلها "ظرفية (هنا، هناك)، وحيادية (هذا) وانتقائية (هذه، هاتان، هذان، هؤلاء) أو حسب البعد (ذاك، ذلك، تلك) والقرب (هذه، هذا)"[٣]، وقد يحصل التناوب بين أسماء الإشارة لدلالات بعينها، فينوب القريب عن البعيد والبعيد عن القريب والمفرد عن الجمع والجمع عن المفرد، في صورة تسبك فيها العبارات لفظيًا أو معنويًا.

(١) ينظر: مسألة (١٠٣) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، المكتبة العصرية الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م،(٢/٥٨٩).

(٢) ينظر: الكتاب، سيبويه، (٢/٧٨) وما بعدها.

(٣) ينظر: لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي،(١٩).

سابعًا: إحصاء الإحالة بأسماء الإشارة في قصة مريم عليها السلام:

وتكثر في أسماء الإشارة الإحالة النصية، إذ تأتي بعد نهاية بعض القصص ومنها:

١-﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ (آل عمران: ٤٤)، فاسم الإشارة (ذلك) أتى ليحيل على مجموعة من الأحداث والقصص التي سبق ذكرها والتي سيأتي ذكرها، فربط بين السابق واللاحق ليتمكن من جذب تركيز المتلقي، واسم الإشارة (ذلك) زيدت فيه لام البعد وعلل الرضي استخدام هذه الصيغة "صيغة البعيد للإشارة إلى الغائب المتقدم في الذكر يكون المحكي عنه غائبًا، على أنهم قد يحملون المحكي عنه وإن كان غائبًا على القريب فيستعملون له قلة اسم الإشارة بلفظ الحاضر القريب "لأن المحكي عنه وإن كان غائبًا، إلا إن ذكره قد جرى عن قريب فكأنه حاضر"[١]، كما أنه سبحانه استحضر اسم الإشارة في منتصف القصص للتنبيه "ليكون السامع على ذكر مما مضى ويلقي السمع وهو شهيد لما بقي، وجعله بعد الافتتاح بقصة مريم عليها السلام تنبيهًا على عظم شأنها وأنها المقصودة بالذات"[٢].

٢-﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ (مريم: ٢١)، ﴿قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ﴾ (آل عمران : ٤٧)، فاسم الإشارة (ذلك) وسبق أن أشرنا أن الأصل ذا وأضيفت كاف الخطاب –المكسورة دلالة على جنس المخاطب–، دلالة على البعد، وف(ذلك) عنصر إحالي يعود على مقاطع نصية كاملة بلفظ موجز وهو أنه سيهب له ذلك الغلام وستلده من غير أن يمسها بشر، فساعدت الإحالة بالإشارة إلى جمع الأحداث السابقة باختصار، كما يسهم التنبيه فقد رأوا أن الكاف قد تضاف لتنبيه المخاطب[٣]

٣-﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ (مريم:٢٣)، فاسم الإشارة (هذا) وسبق الإشارة إلى أن أصله (ذا) والهاء للتنبيه، كما أنها أداة للقريب، وربما تشير إلى مدى قصر مدة الأحداث التي تحيل إليها –والله أعلم–، ف(هذا) عنصر إحالي يعود على ما تقدم من القصة في السورة من الحمل والمخاض.

---

(١) شرح الرضي على الكافية (٤٧٨/٢)

(٢) نظم الدرر للبقاعي، (٣٩٥/٤).

(٣) الأصول –دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب–، تمام حسان، عالم الكتب، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، (١٢٧/٢).

٤-﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا﴾ (آل عمران: ٣٧)، فاسم الإشارة مركب من (ها التنبيه+ ذا للقريب)، وهذا العنصر الإحالي يعود على عنصر إشاري وهو (رزقا) وهي إحالة على المدى القصير، وأشارت للتنبيه على عظيم من جاء به، كما أوضح ما وقع عليه الاسم المبهم، وأسهمت الإحالة بالتأكيد باعتبار القرب.

وردت الإحالة بأسماء الإشارة في قصة مريم خمس مرات فقط، وجميعها كانت من قبيل الإحالة الداخلية القبيلة، وتعود على رتل من الأقوال ومقاطع نصية مختلفة المدى الإحالي، رابطةً بذلك أجزاء النص بصورة موجزة ومؤكدة.

الوسيلة الثالثة: الموصولات:

أولًا: مفهوم الموصول لغة: الواو والصاد واللام: أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه، ووصلته به وصل[١].

والموصول في اصطلاح النحاة: "هو من الأسماء[٢] ما افتقر إلى عائد أو خلفه، وجملة صريحة أو مؤولة، غير طلبية ولا إنشائية، ومن الحروف ما أول مع ما يليه بمصدر، ولم يحتج إلى عائد"[٣].

وقد سميت بالموصولات "لافتقارها إلى صلات توضحها وتبينها؛ لأنها لا يفهم معناها بأنفسها"[٤] "الموصول ما لابد له في تمامه اسمًا من جملة تردفه من الجمل التي تقع صفات ومن ضمير فيها يرجع إليه، وتسمى هذه الجملة صلة[٥]، ويسميها سيبويه الحشو"[٦]، وهو بذلك عدد أركان الموصول (اسم موصول+ جملة صلة+ ضمير عائد)، والضمير العائد قد يكون مذكورًا وقد يحذف عند أمن اللبس.

كما عدها النحاة من المبهمات لاحتياجها لعائد يزيل غموضها، وابن يعيش يجعل المبهمات من الموصولات في مرتبة المبهمات بعد الإشاريات "والقسم الثاني من المبهمات وهو الاسم الموصول... وكلها معارف بصلاتها، فبيانها بما بعدها أيضًا، إلا إن أسماء الإشارة تبين باسم الجنس، والموصولات تبين بالجمل بعدها، ... وكلها مبهمة؛ لأنها لا تخص مسمى دون مسمى، كما كانت أسماء الإشارة كذا"[٧]، ومنهم من عد الموصولات أبهم من بعض "وأما (ما) الموصولة فهي في قول النحويين بمعنى (الذي) وليست كذلك، وإن وافقت (الذي) في أكثر

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، (١١٦/٦)، (و ص ل).

(٢) وقد اعترض الرضي على جعل الموصول اسمًا.

(٣) التذييل والتكملة، أبي حيان الأندلسي، (٥/٣)

(٤) أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، تحقيق: بركات يوسف عبود، دار الأرقم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، (٢٦٣).

(٥) حدد النحاة لجملة الصلة شروط ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، (٣٧٤/١) وما بعدها.

(٦) المفصل في علم العربية، أبي القاسم محمود عمر الزمخشري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار عمار، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، (١٣٨).

(٧) شرح المفصل، ابن يعيش، (٣٤٩/٣).

أحكامها فإنها مخالفة لها في بعض الأحكام، أما المعنى فإن (ما) اسم مبهم في غاية الإبهام، حتى إنها تقع على كل شيء، وتقع على ما ليس بشيء ... والمعدوم ليس بشيء"[١].

ويشترط في الموصول ضمير عائد على الاسم الموصول يقوم بعملية الربط بينه وبين صلة؛ فيزيل غموضه لأن "العائد يعلقها بالموصول ويتممها"[٢] بشرط أن يكون هذا الضمير مطابقًا للموصول، وجاء الاسم الموصول في رأي عبد القاهر الجرجاني للربط بين الشيئين، "يتوصل به إلى الوصف بأسماء الأجناس"، يعنون بذلك أنك تقول: "مررت بزيد الذي أبوه منطلق" و "الرجل الذي كان عندنا أمسي"، فتجدك قد توصلت بـ "الذي" إلى أن أبنت زيدًا من غيره، بالجملة التي هو قولك: "أبوه منطلق"[٣].

ثانيًا: دور الموصولات في التماسك النصي:

تعد الموصولات من وسائل تماسك النص، إذ تربط أجزاء النص باحتياجها لصلتها وعائدها ويزداد الترابط كلما زادت المسافة بين الموصول وصلته، وهي من الأسماء المبهمة فتحتاج لما يتم معناها "الاسم الموصول مع جملة الصلة لا يكفيان لبناء جملة تامة الفائدة، ويحسن السكوت عليها، إلا بعد تضام غيرهما من العناصر اللغوية معها مما يكفي لإتمام الفائدة"[٤]، وجودها في النص يؤدي وظائف، من أبرزها:

١- التوصل إلى وصف المعرفة بالجملة: يرى النحاة أن جملة الصلة وظيفتها تعريف الموصول، ويرون في الوقت نفسه أنها صفة لاسم معرفة، والموصول وصلة لذلك، يقول ابن الأنباري: "فإن قيل: فلمَ أُدخلت (الذي) و (التي) في الكلام؟ قيل: توصلا إلى وصف المعارف بالجمل"[٥].

٢- توسيع الجملة: إن الاسم الموصول يقوم بمهمة توسيع الجملة عن طريق الوصف، وذلك بإضفاء مزيد من الأوصاف على الاسم المعرفة المحال عليه قبلها... وقد تمتد هذه التوسعة لتشمل أكثر من صفة[١]، ومثال

---

(١) نتائج الفكر، عبد الرحمن السهيلي، (١٣٩).

(٢) أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، (٢٦٤).

(٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، محمود مُحَمَّد شاكر، مطبعة المدني، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، (١٩٩).

(٤) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٥٦٩).

(٥) أسرار العربية، أبو بركات الأنباري، (٢٦٣).

ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم:١٢)، فالاسم الموصول (التي) وسعت الجملة بتعداد الأوصاف للاسم المعرفة قبلها (مريم ابنة عمران)،فكأن السؤال: من مريم ابنة عمران؟ فيأتي الجواب هي التي:

أ. أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا.

ب.صدقت بكلمات ربها وكتبه.

ت.كانت من القانتين.

فتمت التوسعة باستخدام الاسم الموصول (التي) والعطف عليه، وتفيد كذلك زيادة التقرير.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء:٩١)، رغم إن الاسم المعرفة الذي يعود عليه الاسم الموصول محذوف، إلا إن من يسمع هذه الصفات تتبادر لذهنه مريم عليها السلام لاختصاصها بها، وتكرار الأوصاف في سورة التحريم مع تقديم اسمها عليها السلام، وهذا ما دعاني لذكر آية التحريم قبل آية الأنبياء والظاهر قبل المقدر، فكذلك أيضًا من يسأل السؤال: من هي؟ فتأتي الأوصاف:

أ. أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا.

ب.وجعلناها وابنها آية للعالمين.

فيأتي الجواب: مريم عليها السلام.

٣-زيادة التقرير: كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾(مريم:٢٩)، فجملة الصلة (كان في المهد صبيًا) أبرزت موضعه فزادت الوصف تقريرًا، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾(آل عمران:٣٦)كذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾(آل عمران:٣٧) ﴿ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ (آل عمران: ٤٧)، زيادة للتأكيد والتقرير.

(١) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٥٥٩).

٤- الربط والإحالة في الاسم الموصول: وهي الوظيفة النصية تسهم من التماسك النصي؛ فالاسم الموصول يربط جملة لاحقة بجملة سابقة، ويشترط في الربط وجود ضمير رابط مطابق للموصول، وظيفة الموصول في الربط: ربط آخر الكلام بأوله لتحصيل الاتساق والتماسك اللغوي، ووظيفة الموصول في الإحالة: إحالة الضمير بجملة الصلة، على الاسم الموصول الذي سبق ذكره أو على اسم معهود ذكره لدى المتكلم أو المخاطب[١]، ومما يدلل على صحة استخدام الاسم الموصول رابطًا: جواز نيابته عن الضمير وصحة حلول الضمير محله دون أن يتغير المعنى العام للجملة... وهذه المعاقبة هي التي دعت البلاغيين لتسمية هذه الظاهرة بـ(الإظهار في مواطن الإضمار)، يقصدون بالإظهار (ذكر الموصول) وبالإضمار (تقدير الضمير)[٢]، والغرض من التعبير بالموصول دون الضمير هو وصف المرجع المحال عليه بصفة تدل على المدح أو ذم، وذلك عن طريق التعبير بالاسم الموصول"[٣]، وقد سبق الإشارة إلى قول الجرجاني في كون الموصول رابطًا.

وردت الإحالة بالموصول في قصة مريم سبع مرات موزعة على أربع سور.

(١) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٥٦٦).

(٢) ينظر: مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٥٢٧هـ ٢٠٠٦م، (١/٢٠٠).

(٣) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٥٦٨).

الوسيلة الرابعة: تعلق شبه الجملة:

أولًا: مفهوم شبه الجملة: وهو الظرف والجار (الأصلي) [١] والمجرور [٢]، سبب تسميتها بشبه الجملة: لأنها مركبة كالجمل، فهي تتألف من كلمتين أو أكثر، لفظًا أو تقديرًا، وهي غاليًا ما تدل على الزمان أو المكان، وإن تعلقت بكون محذوف دلت على ضمير مستتر أيضًا، فكانت كالجمل في تركيبها، ولهذا فهي تغني أحيانًا عن ذكر الجملة [٣]، يسميها ابن هشام الجملة الظرفية [٤] أو ما يشبه الجملة [٥].

والتعليق هو بيان ارتباط شبه الجملة بالحدث الذي تقيده وتتضمنه وتستوعبه لطلب الفائدة واستقامة الكلام [٦]، فهي ترد تكملة للحدث الذي تقيده، ولولا هذا القيد لبقي الحدث ناقصَ الدلالة، لا يفي بالمعنى التام، أو القريب من التام [٧].

فالعلاقة بين شبه الجملة والحدث علاقة تبادل "فشبه الجملة تفيد الحدث في إيضاح معناه وتكميله إذ تحدد زمانه أو مكانه أو سببه، والحدث يفيد شبه الجملة، إذ يظهر معناه ويربطه بعمل يملؤها وينصبها ظاهرًا أو تقديرًا [٨].

وللحدث الذي تتعلق به أنواع، هي [٩]:

١-وهو الفعل التام لازمًا أو متعديًا، سواء أكان متصرفًا، نحو:

---

(١) ينظر الشروط في مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، (٤٩١/٢) وما بعدها.

(٢) شرح ابن عقيل، مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، (١٤٧/١).

(٣) إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، حلب، الطبعة الخامسة، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، (٢٧١).

(٤) مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، (٤٢٠).

(٥) المرجع السابق.

(٦) رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد المالقي، تحقيق: أحمد الخراط، طبعة مجمع اللغة. (٨١).

(٧) ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، (٢٧٣).

(٨) ينظر: المرجع السابق.

(٩) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، (٤٨٤/٢) وما بعدها، إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، (٢٩٠-٢٧٥) .

٢- شبه الفعل: وهو المصدر والمشتق العامل عمل فعله واسم الفعل (أما الأحرف المشبهة بالفعل فلا يعلق بها إنها وإن أشبهت الأفعال في اللفظ والمعنى[١]، لم تزل أحرفًا، الحرف لا تتعلق به شبه جملة' إلا إذا ناب عن الفعل المحذوف)[٢].

٣-الجامد المؤول بمشتق: المراد بالجامد اسم الذات والاسم العلم والضمير فإذا أول اسم الذات بالمشتق جاز أن يحمل على معنى الحدث، وتعلق به أشباه الجمل (إذا كان الاسم العلم أو الضمير يشير إلى معنى المشتق حمل على الحدث مثل لفظ الجلالة إذا جاء لمعنى)[٣].

٤-حروف المعاني: (ولما كانت هذه الحروف تحمل معنى الأفعال فقد أجاز بعض النحويين تعلق أشباه الجمل بها مطلقًا، ومنع الجمهور ذلك مطلقًا، وقدروا لشبه الجملة فعلًا تتعلق به، وجعلوه محذوفًا، لدلالة حرف المعنى عليه والاختيار ما ذهب إليه الفارسي وابن جني من الجواز على سبيل النيابة)[٤] كتعلق شبه الجملة بحرف النداء لنيابتها عن الفعل.

٥-العامل المعنوي: العوامل في الإعراب أكثرها لفظي، وهي ظاهرة أو مقدرة، غير أن الكوفيين كانوا أبعد في اعتماد العامل المعنوي [٥].

٦-العامل المحذوف: إذا خلت الجملة من السابق، وجب تقدير عامل لها فتتعلق به، وهي ثمانية أن تقع (صفة، حال، صلة، خبر، يرفعا الاسم الظاهر، مثل أو شبهه، شريطة التفسير، القسم بغير الباء)[٦]، حذف المتعلق[٧] المتعلق[٧] يجوز إذا وقعت شبه الجملة جوابًا لسؤال، إذا وُجد دليلٌ على العامل المحذوف.

وجوب حذف المتعلق العام المطلق[١] (الخبر- الصفة - الحال- صلة الموصول- المفعول الثاني لفعل القلبي القلبي أو لفعل التحويل- الاعتماد ان تعتمد على نفي أو استفهام أ موصوف أو موصول أو صاحب

---

(١) مسألة (٢٢) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، (١٤٥/١).

(٢) إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، (٢٨٢).

(٣) المرجع السابق، (٢٨٤).

(٤) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، (٤٨٩)

(٥) ينظر: مسألة (٢٩) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، (١٩٧/١).

(٦) مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، (٤٩٦/٢) وما بعدها

(٧) إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، (٢٩٣).

حال أو صاحب خبر) ويقدر باسم مشتق إلا في موضعين إذا كان صلة الموصول التي لم يذكر فيها المسند –وفيه خلاف– وأن تكون صفة، ويقدر المحذوف بالاسم المشتق لأنه الأصل في الخبر وما يشبهه وأن المشتق صالح للأزمنة كلها، وإن كانت حقيقته للزمن الحاضر"[٢] وذهب أكثر النحاة لتقديره بفعل[٣] والكون الخاص فذكره هو الأصل (الأمثال– الاشتغال– القسم بغير الباء– لام الجحود – الشرط بعد ذي جواب – وجود مانع)[٤]

ثانيًا: دور شبه الجملة في التماسك النصي:

شبه الجملة من طرق الربط في العربية، وتعليق شبه الجملة هو نوع من الإحالة الداخلية [٥]، ولن أطيل الحديث فيه لأنه ذو أثر على المدى القريب، أي على مدى الجمل، فلا يسهم في تماسك على مدى النصوص، فشبه الجملة يتعلق بالحدث السابق له تكون الإحالة قبيلة في الغالب؛ لأن المتعلق يذكر أو يقدر قبل شبه الجملة؛ لأنه العامل فيها والعامل يتقدم على المعمول[٦] ولكن قد يعرض ما يجيز تأخره [٧]، فتكون الإحالة بعدية، وتحديد ما ترتبط به شبه الجملة من عامل يتوقف على المعنى[٨].

وردت الإحالة بشبه الجملة في قصة مريم تسعًا وستين إحالة، منها أربعة وخمسون جارًّا ومجرورًا، و خمسة عشر ظرف مكان أو زمان.

---

(١) المرجع السابق، (٢٩٥-٣٠٢).

(٢) ينظر: إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، (٣٠٣-٣٠٢).

(٣) المرجع السابق، (٣٠٣).

(٤) المرجع السابق، (٣٠٤).

(٥) نقل مشافهةً عن الدكتور مؤمن الغنام، في مادة التوجيه اللغوي، جامعة طيبة، بتاريخ ٢٠٢٠/١٠/١١م.

(٦) إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، (٣١٣).

(٧) ينظر المواطن في المرجع السابق، (٣١٤-٣١٣).

(٨) ينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م، (١٨٩).

المطلب الثاني: الحذف (Ellipsis)

أولًا: مفهوم الحذف:

لغةً الحذف: "قطف الشيء من الطرف"[١]، وذكر ابن منظور أنه: "حذف الشيء يحذفه حذفا: قطعه من طرفه، والحجام يحذف الشعر، من ذلك"[٢]، ويظهر من خلال المعاجم أن الحذف يستعمل بمعنى القطف والقطع.

اصطلاحًا: "إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل"[٣] فقد اشتمل التعريف على أنواع الحذف (جزء من الكلام أو كله)، وشرط الحذف (لدليل)[٤].

وجاء تعريفه في معجم المصطلحات بأن الحذف في النحو "إسقاط كلمة من بناء الجملة، وقد تكون هذه الكلمة ركنًا من أركانها؛ كالمبتدأ أو الخبر أو الفاعل، وقد تكون حرفًا، وقد تحذف الجملة"[٥]، والحذف في الصرف: "إسقاط حرف أو أكثر، أو حركة من الكلمة"[٦].

وعرفه أحد الباحثين بأنه: "إسقاطٌ لصيغ داخل النص التركيبي في بعض المواقف اللغوية، وهذه الصيغ يفترض وجودها نحويًّا لسلامة التراكيب، وتطبيقًا للقواعد، ثم هي موجودة، أو يمكن أن توجد في مواقف لغوية مختلفة" [٧]

---

(١) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (٢٠١/٣).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (٣٩/٩).

(٣) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧م، (١٠٢/٣).

(٤) ما كان بغير دليل يسمى اقتصار، ينظر البرهان، (١٠٢/٣)

(٥) معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مُحَمَّد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠١١م، (١٠١).

(٦) المرجع السابق، (١٠٢).

(٧) الحذف والتقدير في النحو العربي، د. علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ م، (٢٠٠).

ثانيًا: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي:

الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية[١]، لكنها في اللغة العربية أكثر ثباتًا ووضوحًا؛ لأن العرب نفرت مما هو ثقيل في لسانها، ومالت إلى ما هو خفيف، فـ "الحذف من عجائب اللسان العربي وأسراره التي تفرَّد بها عن غيره من الألسن، فليس الحذف في العربية لمجرد الاختصار والإهمال"[٢]، بل هو من شروط الفصاحة كما يرى ابن سنان الخفاجي، إذ يقول: "ومن شروط الفصاحة والبلاغة: الإيجاز والاختصار، وحذف فضول الكلام"[٣]، ولعل من أحسن من وصف هذا الجرجاني –شيخ البلاغة– بقوله: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[٤]، وضمه ابن جني إلى باب شجاعة العربية[٥]، وذكره ابن قتيبة ضمن مجازات كلام العرب[٦]، وأشار الزركشي إلى أنه " خلاف الأصل"[٧] وهو الصورة المقابلة للزيادة[٨].

ولقد عني القدماء والمحدثون من النحاة والبلاغيين بظاهرة الحذف، لكن بعضهم خلط بين الحذف والإضمار؛ لذلك قال أبو حيان الاندلسي: " وهو موجود في اصطلاح النحويين، أن يسمى الحذفُ إضمارًا"[٩]، فمن استعمال القدامى استعمل سيبويه الإضمار للتعبير عن الحذف[١٠] واستعمل كل من المبرد[١] وابن مالك[٢] الحذف،

---

(١) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٨م، (٩).

(٢) الأسلوب الخبري وأثره في الاستدلال واستنباط الحكام الشرعية، مُحَمَّد بن مشبب عسيري، دار المحدثين، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، (١٤٥).

(٣) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ١٩٨٢م، (٢٠٥).

(٤) دلائل الإعجاز،(١٤٦/١).

(٥) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، (٣٦٢/٢).

(٦) تأويل مشكل القرآن، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، (٢٢).

(٧) البرهان، الزركشي، (١٠٤/٣).

(٨) ينظر: أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، (١٤٩).

(٩) البحر المحيط، في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ (٨٦/٢).

(١٠) "باب يكون المبتدأ فيه مضمرًا، ويكون المبنى عليه مظهرًا وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربي، كأنك قلت: (ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله)، الكتاب، سيبويه، (١٣٠/٢)

الحذف، للتعبير عن الإضمار، ومن المحدثين من يرى أنه لا فرق بينهما، ومنهم صاحب كتاب إحياء النحو إبراهيم مصطفى[٣] وكذلك ما ورد في حاشية الشهاب[٤].

ولكن في المقابل انتبه البعض إلى ضرورة التفريق بينهما، ومن ذلك ما أشار إليه السهيلي بقوله: "الإضمار هو الإخفاء، والحذف هو القطع من الشيء، فهذا فرق ما بينهما، وهو واضح لا خفاء به، ولا غبار عليه"[٥]، بل وانتقد ابن مضاء هذا الخلط بينهما قائلًا: "والنحويون يفرقون بين الإضمار والحذف ويقولون (أعني حذاقهم) أن الفاعل يضمر ولا يحذف... لكن إطلاق النحويين لهذين اللفظين لا يأتي موافقًا لهذا الفرق"[٦] وأشار الزركشي إلى هذا الفرق أيضًا قائلًا: "أن شرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ ... وهذا لا يشترط في الحذف"[٧]، والدليل على أن المضمر مخفي لفظًا ومراد في النية " بأنّ الإضمار الحذف مع بقاء الأثر لأنه يشعر بوجود مقدّر له، والحذف أعم منه[٨]، وقد وضع ابن هشام شروط وضوابط مفصلة للحذف[٩]، إذًا فالعربية أجازت الحذف إذا كان الباقي في الجملة بعد الحذف مغنيًا في الدلالة، بوجود قرائن تدل إليه، فكأن الحذف "ناتج عن أن المعنى المفهوم

---

(١) في (باب المفعول الذي لا يذكر فاعله) وهو رفع نحو قولك ضرب زيد وظلم عبد الله، وإنما كان رفعا وحد المفعول أن يكون نصبًا لأنك حذفت الفاعل. المقتضب، المبرد، (٤/٥٠)

(٢) يقول في ألفيته -ألفية ابن مالك (٨٩)- في باب (الابتداء) متحدثًا عن حذف الخبر وجوبًا:

وقَبْلَ حالٍ لا يكونُ خَبَرَا كَضَرْبِي العَبْدَ مُسِيْئًا، وَأَتَمّ

عنِ الذي خَبَرُهُ قَدْ أُضْمِرَا تبييني الحقَّ مَنُوْطًا بالحِكم

(٣) يرى أن الإضمار لا يختلف عن الحذف؛ لأن كلا منهما فيه تقدير ما لا وجود له في ظاهر النص، ينظر: إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، (٥٦).

(٤) "قول مضمر؛ أي: محذوف" حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين الخفاجي، دار صادر، بيروت (٦/٤٢٥)، "يستعمل كل منهما بمعنى الآخر كما يعلم بالاستقراء" حاشية الشهاب، (١/١٧٨).

(٥) نتائج الفكر، عبد الرحمن السهيلي، (١٢٧).

(٦) ينظر: الرد على النحاة، أحمد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد، ابن مضاء، تحقيق: مُحَمَّد إبراهيم، دار الاعتصام، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م، (٨٣-٨٤).

(٧) البرهان، الزركشي، (٣/١٠٢).

(٨) حاشية الشهاب، شهاب الدين الخفاجي، (١/١٧٨).

(٩) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، (٦٦٨) وما بعدها.

في كل موضع زائد على عناصر اللفظ المذكورة"[١]، حيث تكون الجملة المحذوفة أساسًا للربط بين أجزاء النص من من خلال المحتوى الدلالي[٢]، مما جعل دي بوجراند يعرف الحذف على أنه "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، أو أن يوسع أو أن يعدل بوساطة العبارات الناقصة) [٣]، وعلى هذا تكون البنية السطحية لأي نص غير مكتملة غالبًا على الرغم مما يبدو في تقدير المتلقي "[٤] ويعرفه كريستال في موسوعته ومعجمه تحت مصطلح (Ellipsis) وهو حذف جزء من الجملة الثانية، ودل عليه دليل في الجملة الأولى"[٥] ويحدد هاليداي ورقية حسن الحذف بأنه " علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض المفترض في النص السابق عليه، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبيلة"[٦].

وعني علماء النص بالتفريق بين الحذف والاستبدال، فأشاروا إلى أن " الحذف لا يختلف عن الاستبدال سوى أن الحذف هو استبدال بالصفر (Substitution by Zero)، أي أنها لا تترك أثرًا في النص، بخلاف الاستبدال الذي يترك أثرًا، وهو وجود أحد عناصر الاستبدال في النص؛ ولهذا فإن المستبدل يبقى مؤشرًا يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يتركه الاستبدال، بينما الأمر على خلاف ذلك في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء، فنرى في الجملة التي تحتوي على الحذف فراغًا بنيويًا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادًا على ما ورد في النص أو الجملة السابقة عليها"[٧].

ثالثًا: دور الحذف في التماسك النصي:

الحذف وسيلة تماسك تظهر على البنية السطحية ويكمن غرضها في البنية العميقة وهي من أكثر وسائل التماسك النصي شيوعًا، فيكثر فيها "الاعتداد بالمعنى العدمي على ما يسمونه Zero Morpheme

(١) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، (٢٥).

(٢) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (١٢٤).

(٣) النص والخطاب والإجراء، تمام حسان، (٣٠١).

(٤) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، (١٢٥).

(٥) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق –دراسة تطبيقية على السور المكية–، صبحي الفقي، (١٩١/٢).

(٦) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، مُحَمَّد خطابي، (٢١).

(٧) لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢١).

فالبنيات السطحية في النص وصغير مكتملة غالبًا بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللغة العادي "[١]، ويظهر دور الحذف في تماسك النص على مستوى الجمل وليس على مستوى الجملة الواحدة[٢]، كما أنه يكسب العبارة قوة، ويجنبها الثقل والترهل [٣]، وقد أدرك السيوطي دور الحذف في التماسك النصي، وقد أطلق عليه مصطلح الاحتباك " ما يسمى بالاحتباك ... هو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول... ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج وشده وإحكامه؛ بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق وبيان أخذه منه من أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحبكه فوضع المحذوف مواضعه كان حابكًا له مانعًا من خلل يطرقه فسد بتقديره ما يحصل به الخلل"[٤] ومصطلح الاحتباك له أهميته عند دارسي التماسك؛ لأنه يشير إلى الخطوط الأولى لنظرية التماسك النصي في تراثنا العربي، ومنه اشتق النصيون مصطلح (الحبك) للدلالة على الانسجام المعنوي في النص"[٥].

وحدوث التماسك من خلال الحذف يقوم على محاور أساسية [٦]، من عناصر التماسك مع احتفاظ كل وسيلة بوظيفتها:

الأول: التكرار: وذلك لأن علماء اللغة اشترطوا[٧] كون المحذوف من لفظ المذكور كلما أمن، وإلا كان متعلقًا به أو مرادفًا له، وعلى هذه الوسيلة يقوم تعريف الحذف لدى سعد مصلوح إذ يرى أنه "تكرار البنى مع إسقاط بعض عناصر التعبير"[١]، "والتكرار من مسببات التماسك النصي بين المحذوف والمذكور"[٢].

---

(١) النص والخطاب والإجراء، تمام حسان، (٣٤).

(٢) لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٢).

(٣) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر حمودة، (٤٣)، خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مُحَمَّد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، (١٦١).

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، (١٨٣/٣-١٨٢).

(٥) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (١٣٠).

(٦) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي الفقي، (٢٢١/٢).

(٧) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، (٦٦٨) وما بعدها

الثاني: المرجعية: وهي إما أن تكون سابقة أو لاحقة، فالمتلقي لا يتعرف على المحذوف إلا بالرجوع إلى الدليل، وهو ما يسميه الأستاذ "مُحَمَّد مفتاح" الحذف بمؤشر لغوي أي إنه – اعتمادًا على الجملة السابقة واللاحقة– يمكن تقدير المحذوف"[٣]، فالحذف بطبيعته علاقة مرجعية لما سبق، وأحيانًا يكون الحذف مرجعيته خارجية والأخيرة تعتمد على سياق الحال، لكن المرجعي الخارجي ليس له مكان في التماسك[٤] ؛ لأن المرجعية الخارجية تكون على مستوى الجملة الواحدة في الغالب.

الثالث: وجود دليل على المحذوف[٥] وأكد دوره ابن جني قائلًا: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه"[٦]، وهذا الدليل إما دليل مقالي أو حالي، كما يقول ابن يعيش: "إن قرائن الأحوال قد تغني عن اللفظ؛ وذلك أن المراد من اللفظ الدلالة على المعنى، فإذا ظهر بقرينة حالية أو غيرها، لم يحتج إلى اللفظ المطابق، فإن أُتي باللفظ المطابق جاز وكان كالتأكيد، وإن لم يؤتَ به فللاستغناء عنه"[٧]، وقد أدرك السيوطي أهمية القرائن، ودورها في إيصال المعنى؛ فنقل[٨] كلام ابن يعيش في (الأشباه والنظائر) تحت عنوان: "قرائن الأحوال قد تغني عن اللفظ"، والدليل من أقوى العوامل التي تحقق التماسك النصي بين الجملتين، إذ تحقق المرجعية من خلال المذكور والمحذوف[٩].

---

(١) نحو آجرومية للنص الشعري –دراسة في قصيدة جاهلية–، سعد مصلوح، فصول، مصر، المجلد: ١٠، العدد: ١-٢، ١٩٩١م، (١٥٩).

(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي الفقي، (٢-١٩٥).

(٣) دينامية النص، مُحَمَّد مفتاح ، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٨٧م، (١٦٧).

(٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق صبحي الفقي، (٢-٢٠١).

(٥) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (٢-٢٠٢)، واحتج الجرجاني لضرورة تقدير المحذوف إلى سببين: الأول أن يمتنع حمل الكلام على ظاهره لأمر يرجع إلى غرض المتكلم والثاني أن يكون امتناع الكلام على ظاهره ولزوم الحكم بالحذف راجعًا إلى الكلام نفسه لا إلى غرض المتكلم، ينظر: أسرار البلاغة، ابن الأنباري، (٤٢١).

(٦) الخصائص، ابن جني، (٣٦٢/٢).

(٧) شرح المفصل، ابن يعيش، (٣١٠/١).

(٨) ينظر: الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، (٣٠٦)، وقد اشتهر عن السيوطي النقل عن غيره.

(٩) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي الفقي، (٢-١٩٣).

ولذلك كانت دلالة الحال المستغنى بها عن المحذوف دليلًا على الحذف وقوة بيانه؛ يقول حازم القرطاجني: "إنما يحسن الحذف ما لم يشكل به المعنى؛ لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسآمة؛ فيحذف ويكتفى بدلالة الحال عليه، وتُترك النفس تجول في الأشياء المكتفي بالحال عن ذكرها على الحال[1] .

فعن طريق إرجاع المحذوف تتحقق الإحالة القبلية الداخلية، ويظهر التكرار، ويظهر التماسك على مستوى أكثر من جملة، وتظهر أهمية الدليل المذكور، فعن طريق هذا الدليل يستطيع القارئ ملء الفراغ الناتج عن الحذف واكتمال صورة متماسكة لديه.

والحذف يكون لتصفية العبارة وترويق الأسلوب من ألفاظ يفاد معناها بدونها لدلالة القرائن عليها "يتبعونه البلاغيين بقولهم (والاحتراز عن العبَثِ بناء على الظاهر) وهي عبارة دقيقة وصادرة عن تفكير صادق، لأن ذكر الكلمة التي يدل عليها سياق الكلام ثقل، وترهل في الأسلوب، وهي شبيهة بالعبث وليست عبثًا، لأنها جزء من الكلام، وذكر جزء الكلام لا يكون عبثًا، ولذلك جاء قولهم بناء على الظاهر أي لا في حقيقة الأمر لأننا عند التحقيق لا نسميه عبثًا"[2] فالحذف إذًا وسيلة تماسك لا تباعد وفصل بين عناصر النص كما يظهر على السطح.

السطح.

وتماسك النص بشقيه الشكلي والدلالي هو الذي يساعد على الحذف؛ فهما "يساعدان منشئ النص على الاختصار، وعدم الإطالة بذكر معلومات فائضة؛ لذا يشترط في الحذف أن يبدأ النص بجملة تامة تراعي القواعد النحوية، أما في الجمل التالية فإن علماء النص يعتمدون على ما يسمى بالتبعية النحوية أو ما يسمى بالجمل المستأنفة ويكثر الحذف فيها حتى يفيد الاختصار"[3].

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: مُحَمَّد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، (٣٩١).

(٢) خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مُحَمَّد أبو موسى، (١٦٠).

(٣) الدلالة والنحو، صلاح الدين صالح حسنين، (٢٥٣).

رابعًا: دور الحذف في تماسك القصة القرآنية:

أما بالنسبة للحذف في النص القرآني فلسنا "ننسب الحذف إلى مضمون القرآن، بل ننسبه إلى تركيب اللغة"[١] "ومعنى ذلك أن ما لم يكتب في القرآن مما يخص الجانب التركيبي لا يعد قرآنًا، كما أننا لا نستطيع أن نتلو تلك التقديرات في أثناء تلاوتنا للقرآن"[٢] كما أنه أسلوب من أساليب النظم القرآني المعجز، الذي يعود على متلقيه بتحريك لمشاعره، وإشارة لذهنه[٣]، وكون القصة القرآنية تعالج الكثير من المواقف وتسرد الكثير من الأحداث، فقد "كانت ميدانًا للاختصار والحذف وفي حاجة ماسة إلى التركيز والإجمال"[٤]، ودليل الحذف فيها غالبًا ما يكون الترتيب الزمني بين الأحداث، فهي بذلك تحمل القارئ المشاركة في بناء النص" إن القرآن حين يحذف فيه ما يحذف من مشاهد وأحداث يحمل السامع أو القارئ على المشاركة في بناء ما يمكن أن يقص، تنشيطًا لخياله، وتحريكًا لوجدانه، فيظل مأسورًا لما يسمع أو يقرأ، ماضيًا على هوى نفسه،... مؤمنًا بما يهدف إليه القصص القرآني من مُثل عليا وآداب رفيعة؛ وذلك لأن القرآن يحيل الجمال الفني أداة للتأثير الوجداني، فخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية"[٥] ومن ذلك ما يرى عبد القادر حسين أن الحذف "ليس للاختصار فقط وإنما هو أمر نفسي بحت يجعل مجال الإحساس والشعور متسعًا أمام السامع فيتوهم كثيرًا من الأشياء التي يتحمل أن يحمل معانيها اللفظ المحذوف والمفهوم من الكلام في آن واحد[٦]، وكون القرآن الكريم يراعي حال المخاطب في

---

(١) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (١٢٦).

(٢) أساليب حذف المضاف من القرآن الكريم، سلوى عبد الفتاح حسن، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، القاهرة، ١٩٩١م، (٣٥)، نقلًا عن الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (١٢٦).

(٣) ينظر: علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، الطبعة الرابعة، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، (٥٠٢).

(٤) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم مطلعي، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، (٦٦/٢).

(٥)(٥) ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، (١٤٣).

(٦) ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م،(٥٨).

كل أحواله " فلم يرد أن يثقل عليه بتكرار ما يعلم، وإرهاقه بألفاظ لا تزيد معها الفائدة، فكان ذكرها عبثًا وحذفها بلاغة"[١].

خامسًا: دور المتكلم والمتلقي في الحذف:

يعمل الحذف على خلق نص متماسك بتكوين نص يقوم على الاشتراك بين طرفاه خالق النص-المتكلم/المخاطِب- ومتلقيه-القارئ/المستمع/المخاطَب-، ويظهر دور المتكلم قبل دور المتلقي فالمتكلم يعمد إلى الحذف "لا يغمض به المعنى، ولا يلتوي وراءه القصد، وإنما هو تصرف تصفى به العبارة، ويشتد به أسرها، ويقوى حبكها، ويتكاثر إيحاؤها، ويمتلئ مبناها[٢] لهذا فإن المتكلم يستطيع "أن يحذف من كلامه الذي يريد توصيل معناه لمن يتلقى كلامه – ما يمكن أن يفهمه المتلقي بقرائن الحال أو المقال، أو باللوازم الفكرية الخفية، أو بالإشارات التي تُدرَك بالذكاء"[٣] وعليه: فإن للمتلقي دورًا في الوقوف على المحذوف من خلال الدليل، فالعبارة الموجزة "تعتمد على ذكاء القارئ والسامع، وتعوِّل على إثارة حسه، وبعث خياله، وتنشيط نفسه؛ حتى يفهم بالقرينة، ويدرك باللمحة، ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير" [٤]، وللمتلقي دور بارز في تحليل وفهم النص عامة، والنص القرآني خاصة ؛ كونه للمتلقي خاصة، ويعود تأثير الحذف على المتلقي؛ "إنَّ نَفْس السامع تَتِّسع في الظن والحساب وكل معلوم فهو هين لكونه محصورًا"[٥]، فالبنية العميقة تحمل عنصرًا أو أكثر من العناصر العناصر التي تم حذفها في بنية السطح، والاستدلال عليها يتم أولًا بمعرفة غرض المتكلم وفي الثاني بكون بنية السطح تحتوي على عنصرٍ واحدٍ لا يمكن أن يكون وحده جملة مفيدة [٦].

---

(١) أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، (٥٨).

(٢) ينظر: خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مُحَمَّد أبو موسى، (١٥٣).

(٣) الأسلوب الخبري وأثره في الاستدلال واستنباط الأحكام الشرعية،(١٤٥).

(٤) خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مُحَمَّد بن مشبب عسيري، (١٥٣).

(٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ابن رشيق القيرواني، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، (٢٥١/١).

(٦) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، (٢٥).

وإذا تأملنا الصلة بين النصّ والمتلقي، فإنها تقوم عن طريق الإحالة في المقام الأول، والإحالة تقوم على وجود الدليل فهو الذي يكسب المتلقي القوة على تحديد المحذوف مهما كان نوعه، "وكلما كانت المسافة بين الفراغ (المحذوف) والدليل عليه أبعد كان أثر الحذف أقوى في تماسك النص "[١].

والحذف يكثر في القصص، ويكثر في الحوار، خاصة كون القارئ مشاركًا في تصور وتتابع الأحداث، ففي قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ (مريم: ٢٢) "قبله كلام مطوي والتقدير: فلما قال لها جبريل ما قال، واستسلمت لقضاء الله، واطمأنت إلى قوله، فدنا منها فنفخ في جيب درعها – الفتحة التي في القميص من الأمام – فوصلت النفخة إلى بطنها، فحملته"[٢]، ونوع الحذف "ما يقتضيه المقام فدليله التسلسل المنطقي للأحداث؛ لأن التقدير فيه يعتمد على ترتيب الأسباب والمسببات"[٣].

سادسًا: أنماط الحذف[٤]:

أنماط الحذف في العربية تبدأ من الحركة أو الصوت، ثم الحرف ثم الكلمة ثم العبارة ثم الجملة ثم أكثر من جملة[٥]، وهي عند هاليداي ورقية حسن (اسمي فعلي شبه جملة [٦])، وعند دي بو جراند[٧]:

١. حذف الاسم
٢. حذف الفعل
٣. حذف الحرف أو الأداة
٤. حذف الجملة

---

(١) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (١٢٨).

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مُحَمَّد الأمين بن عبد الله الأرمي الشافعي، إشراف ومراجعة: هاشم مُحَمَّد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ٢٠٠١ م، (١٠٥/١٧).

(٣) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، (٢٩٦).

(٤) ومنها ما أورده البلاغيون مثل الاقتطاع والاكتفاء والتضمين والاحتباك –أطلق عليه الزركشي الحذف المقابلي– والاختزال.

(٥) الخصائص، ابن جني، (٣٦٢/٢-٣٨٣).

(٦) لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٢).

(٧) النص والإجراء والخطاب، تمام حسان، (١٠٠).

٥. حذف العبارة

٦. حذف أكثر من جملة: هذا يتضح كثيرًا في القصص القرآني "ويدخل في حذف أكثر من جملة نمط مهم في التحليل النصي، هو حذف بعض الأحداث من دون بعضها الآخر في التسلسل الزمني للقصة، وقد تحذف الشخصيات والأزمنة والأمكنة"[١]

أمثلة الحذف في قصة مريم عليها السلام:

-قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ٩١)، فالقارئ يشعر بالفراغ الحاصل بين الآية والآية السابقة بسبب الحذف، فيشرع في ملء هذا الفراغ، ويكون على أوجهٍ، باختلاف المتلقي وثقافته وغيرها من الخصائص التي تحديد شخصية المتلقي[٢]، والأوجه هي[٣]:

وجه من استدل بالدليل الحالي: يحدد السياق فيتبين أنه سياق ذكر والآية في سياق عطف على ما سبق "فالتقدير: واذكر التي أحصنت فرجها"[٤] حذف فعلي.

وجه من استدل بالدليل الاستبدالي –إحالة باسم موصول– فتقدير الحذف الذي ذهبوا إليه (ومريم ابنت عمران التي أحصنت) استدلالًا بقوله تعالى في التحريم ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا التحريم﴾ (١٢) حذف اسمي فالحذف كان من أوجه:

الوجه الأول: مناسبة الحذف للسياق السابق: كون السياق هنا سياقَ ذكرٍ للأنبياء وهي ليست من الأنبياء بينما في التحريم كان سياق ذكر النساء وهي منهم، فكان الحذف أنسب.

---

(١) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (١٣١).

(٢) سيتم ذكرها في الجانب الدلالي.

(٣) وللتقدير وجه ثالث وهو (أن التي مبتدأ والخبر هو المحذوف بتقدير أي وفيما يتلى عليكم) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه (٩٢٥/٢)، ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ،(٨٤/٩).

(٤) التفسير الكبير، الرازي، (٢١٨/٢٢)، وهذا الوجه الراجح وذهب إليه جماعة من العلماء في تفاسيرهم منهم: الطبري، ومكي، والواحدي، وابن عطية، والرازي، والعكبري، والقرطبي، والثعالبي.

الوجه الثاني: مناسبة الحذف للسياق اللاحق: كون مريم ابنت عمران أخصّ من التي أحصنت فرجها فذكر الأخصّ مع الأخصّ (فنفخنا فيه) وجعل العام مع العام (ونفخنا فيها)[1]

الوجه الثالث: كونها قد اشتهرت بمضمون الصلة كما هو شأن طريق الموصولية غالبًا، وأيضًا لما في الصلة من معنى تسفيه لليهود الذين قالوا عنها إفكًا وزورًا [2].

-حذف فعلي في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ٩١)

والتقدير: على مذهب سيبويه: وجعلناها آية للعالمين وجعلنا ابنها آية للعالمين ثم حذف، وعلى مذهب الفراء: وجعلناها آية للعالمين وابنها [3]، فالحذف مناسبة للسياق السابق في كون السياق سياق ذكر لمريم على عكس السياق في ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ (المؤمنون: ٥٠).

والحذف لمناسبة السياق اللاحق: المتلقي في السياق اللاحق وهو إفراد الآية في اكتمال العجب بهما معًا "أن بين مريم وابنها حالة مشتركة هي آية واحدة، ثم في كل منهما آية أخرى مستقلة باختلاف حال الناظر المتأمل[4].

-حذف حرف (صوتي) قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ (مريم:٢٠)

أصل الفعل (أكنْ) وحذفت النون وذلك جائز في العربية بشروط هي: "ألا يكون قبل ساكن أو مضمر متصل "[5]، والقياس "يقتضي أن لا يحذف منه بعد ذلك شيء آخر لكنهم حذفوا النون بعد ذلك؛ تخفيفا لكثرة الاستعمال، فقالوا: لم يك، وهو حذف جائز لا لازم. ومذهب سيبويه ومن تابعه أن هذه النون لا تحذف عنه، لملاقاة ساكن"[6]، دور حذف النون في التماسك النصي، يعود إلى:

(١) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح السامرائي دار عمار، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م، (٦٩٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، -تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد-، ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ،(١٣٧/١٧).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، (٣٣٨/١١).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٣٩/١٧).

(٥) شرح شذور الذهب، ابن هشام الأنصاري، (٢٤١).

(٦) شرح ابن عقيل، مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، (٢٧٥-٢٧٦).

الأول: كثرة الاستعمال: أن النون تحذف من الفعل يكون المجزوم بأداة من أدوات الجزم عندما يكثر الكلام الذي تتعلّق به، سواء أكان متقدّمًا عليها أم متأخّرًا عنها، وقد سبق كلمة (أك) في قصة مريم عليها السلام أكثر من خمس وعشرون كلمة يتّصل سياقها بها.

والثاني: مناسبة السياق، فالسياق هنا يستدعي الإسراع كونه في سياق تتبع سلسلة من المفاجآت على مريم عليها السلام، وكما أنها مناسب لسياق الحياء فهي مع رجل غريب في خلوه، كما أنّ فيه تخفيفًا لأمر الحدث وتهوينه على مريم عليها السلام[1]، فالحذف دليل على شيء في المعنى.

ورد الحذف في قصة مريم أربعًا وأربعين مرة تقريبًا.

[1] ينظر: نظم الدرر للبقاعي، (١٢/١٨٥).

المطلب الثالث: الاستبدال (Substitution):

أولًا: مفهوم الاستبدال: لغة: "الباء والدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب، يقال: هذا بدل الشيء وبديله. ويقولون بدلت الشيء: إذا غيرته وإن لم تأت له ببدل"[١]، والاستبدال كلمة مركبة من الهمزة والسين والتاء والتي تعني في اللغة طلب الشيء.

وفي الاصطلاح:

عند الصرفيين: هو "جعل حرف مكان حرف غيره"[٢]، قاصدين حروف الإبدال دون غيرها.

وعند النحويين: عند سيبويه: " هذا باب من الفعل يستعمل في الاسم، ثم يبدل مكان ذلك الاسم اسم آخر فيعمل فيه كما عمل في الأول"[٣]، واشترط أكثرهم التطابق في التعريف والتنكير بين المبدل والمبدل منه[٤].

ويعرفه ابن مالك بأنه: التابع المقصود بالحكم بلا واسطة هو المسمى بدلًا[٥]

ومصطلح البدل هو تسمية البصريين، أما الكوفيون فيسمونه بـ (الترجمة، التبيين، التكرير، المردود)[٦]، وأما الفراء فكان يسميه (التفسير) أحيانًا، فهو يطلقه على البدل، وعطف البيان، والتمييز، والمفعول لأجله[٧].

ويعرفه المفسرون بأنه: "ترك شيء لآخر غيره مكان المتروك"[٨].

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢١٠/١)، مادة (ب د ل).

(٢) شرح شافية ابن الحاجب، مُحَمَّد بن الحسن الرضي الإستراباذي، تحقيق: مُحَمَّد نور الحسن ومُحَمَّد الزفزاف ومُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، (١٩٧/٣).

(٣) الكتاب، سيبويه، (١٥٠/١).

(٤) الخلاف في اشتراط التطابق ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، (١٩٦٢/٤).

(٥) ألفية ابن مالك، تحقيق: العيوني، (١٣٨)، البيت (٥٦٥).

(٦) المصطلح النحوي، القوزي، (١٦٣).

(٧) المرجع السابق، (١٦٤-١٦٥).

(٨) جامع البيان، الطبري، (١٣٠/٢).

وعرفه النصيون أنه: "تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"[١]، وقد اشترطوا وجودهما في سياق واحد "إحلال عنصر لغوي محل آخر في سياق لغوي واحد"[٢]، ويدل ذلك أنهم اشترطوا تحقق الاستمرارية الدلالية.

ولم يشر القدماء إلى هذا النوع المقصود من الاستبدال المحدد الذي يقصده النصيون، بل أشاروا إلى كلٍ من الإبدال النحوي والصرفي[٣]، واهتموا به، وقد خصصوا له مؤلفات بذاتها، مثل: كتاب (الإبدال والمعاقبة والنظائر) للزجاجي، وكتاب (الإبدال) لأبي الطيب اللغوي، وكذلك من اهتم به من المحدثين مثل: أحمد الشدياق في كتابه (سر الليال في القلب والإبدال)، وكمال ربحي في كتابه (الإبدال في ضوء اللغات السامية).

إلا إننا لا نُغفل إشارة ابن هشام إليه في قوله: " ترد على ثلاثة أوجه: أحدها أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما، وهما كاف التشبيه، وذا الإشارية، كقولك: «رأيت زيدًا فاضلا، ورأيت عمرًا كذا»"[٤]؛ فقد عد (كذا) من قبيل الإبدال، وهذا الاختلاف القائم بين " البدل في النحو العربي، والإبدال في علم اللغة النصي، لا يمثل مانعًا من الاعتراف بأن البدل في النحو العربي يحقق التماسك، لكن على مستوى الجملة الواحدة في الغالب"[٥].

ثانيًا: ظاهرة الاستبدال في الدرس اللغوي الحديث:

تعد فكرته عند رولاندهار: فكرةً "لا تقتصر على مجرد تضمن الوسائل المعتادة كالضمائر والأدوات، ولكنها تشمل مجالًا متنوعًا من العلاقات المفهومية، مثل فكرة العموم والخصوص بين الأقسام الفرعية والأقسام الأعم أو الأقسام العليا، والكلية الجزئية والسببية والقرب"[٦]، فيما هو عند روبرت بو جراند "الإبدال في أساسه أي ارتباط بين مكونين من مكونات النص، أو عالم النص يسمح لثانيهما أن ينشط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين

---

(١) لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٠).

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، (٢٠٦).

(٣) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي الفقي، (٢٦٧/١).

(٤) مغني اللبيب، ابن هشام، (٢٤٧).

(٥) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي الفقي، (٢٦٨/١).

(٦) النص والخطاب والإجراء، تمام حسان، (٣٠٠).

الأول"[١] وعند هاليداي "تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"[٢]، وبناءً عليه، فإن الاستبدال من أهم عناصر التي تسهم في تماسك النص.

ويعد الاستبدال "ارتباطًا بين مكونين من مكونات النص، أو عالم النص يسمح لثانيهما أن ينشط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الأول"[٣]، وهو بذلك يقترب من فكرة الإحالة، بل ويعده أنس فجال من وسائل الإحالة[٤].

ثالثًا: دور الاستبدال في تماسك النص والقصص القرآني:

يعد الاستبدال من الوسائل المهمة في إنشاء التماسك والربط بين النصوص، والذي يتم في كل من المستويين النحوي والمعجمي، ويبرز دوره حيث يستحيل علينا فهم ما تعنيه العناصر كـ(أخرى، وذلك) إلا بالعودة إلى ماهي متعلقة به قبليًا[٥]، فقد يعده بذلك البعض نوعًا من الإحالة، إلا إن الفرق بينه وبين الإحالة، يكمن في أن الاستبدال يتم في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي، كما أن العلاقة بين عنصري الإحالة علاقة تطابق، والعلاقة بين عنصري الاستبدال علاقة تقابل[٦] فمن هذه العلاقة يستمد قيمته التماسكية، وسبق التفريق بينه وبين الحذف في مطلب الحذف.

وذلك يعني أن الاستبدال عملية داخلية تتم بتعويض عنصر عن الآخر، بشرط أن يتم استبدال وحدة لغوية بشكل آخر، يشترك معها في الدلالة حيث ينبغي أن يدل كلا الشكلين اللغويين على شيء غير لغويٍّ في الكلمة، فتحقق الشرط وظهر الربط[٧]، وكذلك بشرط ألا يكون هذا العنصر "ضميرًا شخصيًا[١]، وكما أن هناك

---

(١) المرجع السابق.

(٢) ينظر: الاتساق النصي مفهومه وآلياته، فاتح بوزري، مجلة نصف سنوية محكمة، مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١٢م، (٤٨).

(٣) المرجع السابق.

(٤) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (١٢٠).

(٥) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، (١٢٤).

(٦) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي، (١٩-٢١).

(٧) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، (١٢٤).

قاعدة عامة في علاقة الاستبدال وهي أن الكلمة البديلة يكون لها نفس الوظيفة التركيبية[٢]، وبهذا تتضح عناصر الاستبدال وهي (المبدل+ والمبدل منه).

ويذهب هاليداي ورقية حسن إلى أن جميع أمثلة الاستبدال هي استبدال داخلي (endophoric)، أما الاستبدال الخارجي (exophoric) فهو نادر الوقوع تمامًا، ويستخدم فقط في المحادثة عندما يريد المتكلم أن يحاكي العلاقة النصية ليحدث تأثيرًا لشيء تمت ملاحظته بالفعل، وهذا نادر، فالاستبدال يعتمد على أن شيئًا ما قيل من قبل[٣].

وتظهر أهميته في القصص القرآني، بخلق تنوع في الأسلوب، حتى لا يمل المتلقي من السماع ذات العناصر، ولا يخفى أنه يكمن وراءه سرُ إعجازٍ قرآنيّ، فتجد المتلقي يستمتع بالتنوع، ويشغله شغف البحث عن أسرار ورود كل مفرده دون الأخرى، وما سبق كل واحدة منهما ولحقه في سياقها، ويظهر الاستبدال تجنبًا للتكرار، كما أن الاستبدال يجعل المتلقي يبحث عن المفردة التي تشترك معها في حقل الدلالات، سواءً متقابلة أم مترادفة أم متشابهة، فيعمل بذلك على تنشيط ذاكرة المتلقي، وتظهر كذلك فائدته في الاختصار في الأجوبة المستخدمة في الحوارات في القصص، فيتعلق النص ببعضه البعض محققًا ترابطًا رصفيًا.

ويظهر لي أن وسائل الإحالة (الضمائر، والإشارة، والموصولات) تعد من قبيل الاستبدال، على مستوى الظاهر والمضمر، أو الظاهر واسم الإشارة، أو الظاهر والموصول، فيظهر الاستبدال على مستوى الصيغة.

ومن أبرز الوظائف التي يؤديها الاستبدال:

١- التحقيق والإيضاح: وهي وظائف أشار إليها ابن جني بقوله: " اعلم أن البدل يجري مجرى التوكيد في التحقيق والتشديد ومجرى الوصف في الإيضاح والتخصيص"[٤]، ومعنى الإيضاح إنه "يستحيل فهم معنى العناصر

---

(١) علم لغة النص، عزة شبل، (١١٣)، وهذه المسألة فيها خلاف عند النحويين العرب، ينظر: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبداللطيف الزبيدي، تحقيق: طارق الجنابي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، (٥٦).

(٢) علم لغة النص، عزة شبل، (١١٣).

(٣) المرجع السابق، (١١٤).

(٤) اللمع في العربية، ابن جني، (٨٧).

المستبدلة في النص إلا بالعودة إلى ماهي متعلقة به قبليًا، فبدونه تحدث ثغرة في النص فينبغي البحث عن ما يملأ هذه الثغرة في النص السابقة، أي إن المعلومات التي تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر من النص"[١].

٢- التقابل: وهي الوظيفة الأساسية التي تمد النص بالتماسك "فالعلاقة بين عنصري الاستبدال علاقة تقابل تفضي إعادة التحديد والاستبعاد"[٢].

٣- الاستمرارية: فالعلاقة القبلية بين عنصر سابق في النص وعنصر لاحق فيه، ومن ثم "يمكن حدوث الاستمرارية عند وجود العنصر المستبدل بشكل ما في الجملة اللاحقة"[٣].

٤- توسيع المعنى: فالاستبدال "يعمل على مد توسيع السيطرة الدلالية لجملة ما بالنسبة إلى الجملة التالية" [٤].

٥- تجنب التكرار: فالاستبدال عنصر عن عنصر آخر "يجنب تكرار نفس التعبير"[٥].

٦- الاقتصاد اللغوي: حيث "تسمح لمستخدمي اللغة بحفظ المعنى مستمرًا في الذاكرة النشطة دون الحاجة إلى التصريح به مرة أخرى"[٦].

٧- التوطئة: فإن المبدل منه قد يذكر سابقًا توطئةً للمبدل، وأشار إلى تلك الوظيفة ابن يعيش بقوله:" إنما يذكر لنحو من التوطئة، وليفاد بمجموعهما فضل تأكيدٍ وتبيين، لا يكون في الإفراد"[٧].

رابعًا: أنواع الاستبدال[٨]:

١- استبدال اسمي: ويتم باستعمال عناصر لغوية اسمية مثل: آخر، آخرين، "ويدخل في الاستبدال الاسمي أمورٌ أخرى، مثل: قيام الصفة مقام الصفة، والمضاف إليه مقام المضاف، واستبدال الاسم أو الحرف بالضمير،

(١) لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٠).
(٢) المرجع السابق. ، (٢١).
(٣) المرجع السابق، (٢٠).
(٤) علم لغة النص، عزة شبل، (١١٤).
(٥) المرجع السابق.
(٦) المرجع السابق.
(٧) شرح المفصل، ابن يعيش، (٢٦٢/٢).
(٨) لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٠).

وقيام التنوين مقام اسم مفرد في التعويض"[1]، ومثال ذلك الاستبدال الاسمي في قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ (آل عمران:٤٥) على الوجه الذي يذهب إلى أن (كلمة) استبدلت باسم (عيسى)[2]، في قوله تعالى: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران:٤٥).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾(آل عمران:٤٥)، باستبدال (المسيح) بـ(عيسى).

وكذلك استبدال (ولد) في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾(آل عمران:٤٧)، بـ(غلام) في قوله تعالى:﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾(مريم:٢٠)، فالاستبدال كان على وجه السياق السابق لكل آية منهما سيأتي ذكره في مطلب السياق، وهذا الاستبدال تماسك على مستوى القصة بين سورتين.

٢- استبدال فعلي: ويتم باستعمال الفعل، "ويدخل فيه: التضمين في الأفعال، واستعمال أسماء الأفعال بدلًا من الأفعال، وقيام الاسم العامل عمل الفعل مقام الفعل"[3].

ومثال ذلك كما في الاستبدال بين قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾(آل عمران:٤٧)، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾(آل عمران:٤٠)،سيأتي تأويل هذا الاستبدال في المستوى الدلالي (مطلب السياق).

٣- استبدال قَوْليّ أو جُمَليّ: يأتي على كل الجملة، ففيه يقول هاليداي ورقية حسن: "يوجد نوع من آخر من الاستبدال حيث لا يكون المفترض من العناصر هو عنصر من الجملة ولكن الجملة كلها"[4]، ويتم باستخدام الألفاظ مثل (ذلك، ولا، ونعم)، وقد عد النصيون اسم الإشارة (ذلك) أداةً من أدوات الإحالة، مما يشير إلى تداخل كثير من أدوات التماسك بالإحالة، وهذا النوع من الاستبدال هو أكثر الأنواع إظهارًا لأهمية الاستبدال في تماسك النص، حيث إنه يوجب الرجوع إلى جملة كاملة وقول برمته حتى نفهم المقصود منه[5]"يدخل فيها:

---

(١) مباحث حول نحو النص، عبدالعظيم، (٣٥).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، (٤٣٥/١).

(٣) مباحث حول نحو النص، عبدالعظيم (٣٥).

(٤) ينظر: الاتساق النصي مفهومه وآلياته، فاتح بوزري، (٤٨).

(٥) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (١٢٠).

التنوين الذي يأتي عوضًا عن جملة، وأحرف الجواب؛ لكونها تحذف بعدها الجمل وتقوم مقامها"[1]، ويظهر لي أن هذا النوع من الاستبدال هو النوع الأبرز في القصص القرآني مؤديًا وظائفه التماسكية المتعددة.

ومثال ذلك استبدال قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ﴾ (آل عمران:٤٥)، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾(آل عمران:٤٥) سياق لاحق، وهذا ما ذهب إليه البقاعي بقوله: "فقال تعالى مبدلًا من إذ الأولى إيذانًا بأن ما بينهما اعتراض لما نبه عليه من شريف الأغراض"[2]، وذهب الزمخشري[3] إلى أنه يجوز أن يبدل من قوله تعالى: ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمران: ٤٤)سياق سابق، على أن الاختصام والبشارة وقعتا في زمان واسع.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾(آل عمران:٤٤)، اسبتدلت من مجموع الأحداث والأخبار في الآيات السابقة لها.

ومن أمثلة الاستبدال على مستوى الصيغة:

١- استبدال اسم بفعل: كما في قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ (آل عمران:٤٥)، على وجه الذي يذهب إلى أن (كلمة) استبدلت بفعل (كن)[4] في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٤٧)، ويجوز[5] أن يكون الاستبدال على الوجهين الوجه الذي يذهب إلى الفعل والوجه الذي يذهب للاسم، وقد سبق ذكره، فيكون بذلك عيسى هو الذي وجد بالكلمة التي هي(كن).

٢- استبدال الفعل بمصدر: كما في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾(آل عمران:٣٧)، فالفعل (تقبل) استبدل بمصدر (قبول) والفعل (أنبت) استبدل بمصدر (نبات)، على الوجه الذي

(١) مباحث حول نحو النص، عبدالعظيم، (٣٥).

(٢) نظم الدرر، للبقاعي، (٣٩٦/٤).

(٣) الكشاف، الزمخشري، (١٧٢/٣).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، (٤٣٥/١).

(٥) وهذا وجه من التفاسير، ينظر: المرجع السابق.

يذهب إلى أن الاستبدال كان من باب التفعل الذي يدل على شدة اعتناء ذلك الفاعل بإظهار الفعل، هو يفيد المبالغة[1].

٣- استبدال الظاهر بالمضمر أو العكس: وقد سبقت الإشارة إلى وجود خلاف في قبول الاستبدال من هذا النوع في الهامش، ومثال ذلك استبدال الضمير (ها) بالظاهر(أنثى)[2] في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ (آل عمران:٣٦) بأنثى في قوله تعالى: ﴿وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾ (آل عمران:٣٦)، وهذا استبدال يحصل به البيان وهو من المواضع[3] التي يفسر فيها الضمير بما بعده لفظًا ورتبة[4].

(١) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، (٣٠/٨).

(٢) وهذا وجه أبو البقاء، وابن عادل في كتابه، اللباب في علوم القرآن، (١٧٣/٥).

(٣) المواضع ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، (٦٣٥).

(٤) اللباب في علوم القرآن، (١٧٣/٥).

المطلب الرابع: الوصل (Junction)

أولًا: مفهوم الوصل: لغة: "الواو والصاد واللام: أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه، ووصلته به وصلا"[١]

اصطلاحًا: وهو عبارة عن "وسائل متنوعة تسمح بالإشارة إلى مجموعة المتواليات السطحية بعضها ببعض، بطريقة تسمح بالإشارة إلى هذه المتواليات النصية"[٢].

ثانيًا: دور الوصل في تماسك النص والقصص القرآني:

يعد الوصل من أبرز وسائل التماسك النصي على المستوى السطحي، وتكمن مقاصدها في البنية العميقة، ويعد كذلك أبرز وسائل اللغة، فـ"نظرية استعمال اللغة ترتكز على مفهوم الترابط"[٣]، ويعده كريستال من أول وسائل التماسك النصي[٤]؛ لأهميته في تماسك النص، فهو "وسيلة تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة"[٥]، يتبع اللاحق منها السابق شكلاً ودلالةً، فالربط يكون أولًا بالشكل ثم ينعكس الربط الشكلي على المحتوى الدلالي.

يتأسس الوصل على وجود الأداة، فهو لا يحتاج إلى مرجعية ولا تقدير، كما في وسائل التماسك النصي السابقة، وأشار إلى ذلك مُحَمَّد خطابي بقوله: "وإنما يحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص الذي هو عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيًا"[٦]، بينما يرى هاليداي ورقية حسن أن "الترابط موجود حتى لو لم

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٦/١١٥)، مادة (و ص ل).

(٢) نحو النص اتجاه جديد، أحمد عفيفي، (١٢٨).

(٣) النص والخطاب والإجراء، تمام حسن، (٨٧).

(٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي الفقي، (١/٢٥٧).

(٥) لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٤).

(٦) المرجع السابق، (٢٣).

توجد إشارة صريحة له"[١]، وكذلك دي بو جراند بقوله: "العلاقات المختلفة من صور المعلومات يمكن في الغالب أن تقع دون تصريح بوسيلة الربط؛ ذلك بأن للناس طرقًا يمكن تنبؤها لتنظيم المعلومات"[٢]

كما لا يشترط التماثل بين الجمل المراد وصلها، فتاره "معلومات مضافة إلى معلومات سابقة أو معلومات مغايرة للسابقة، أو معلومات (نتيجة) مترتبة عن السابقة (السبب)" [٣].

فهو يربط بين الأحداث فيكسب المتلقي شعور الانسيابية والتتابع فيشعر باتصال أجزاء القصة القرآنية بعضها ببعض، كما تمثل دورًا في الربط بين السياقات الواردة فيها، ، كما ذكروا ما أسموه (عطف القصة على القصة)، و"هو أن يعطف جملًا مسوقة –لغرض– على جمل مسوقة لغرض آخر لمناسبة بين الغرضين. فكلّما كانت المناسبة أشدّ كان العطف أحسن من غير نظر إلى كون تلك الجمل خبرية أو إنشائية. فعلى هذا يشترط أن يكون المعطوف والمعطوف عليه جملاً متعددةً. وقد يراد بها عطفًا حاصلًا مضمون أحدهما على حاصل مضمون الأخرى من غير نظر إلى الإنشائية والخبرية "[٤]، فهي بذلك تسهم في الربط السطحي للكشف عن المقاصد الشريفة في القرآني الكريم، ومن أبرز الوظائف التي يؤديها الوصل ما يلي:

١- مبدأ الاتساع والاقتصاد اللغوي: فالوصل "يسمح بتكوين علاقة جديدة جملة أو عبارة أو مفردة، بحيث يُلتفت إلى ارتباطه بالعناصر السابقة، فهو يلفت نظر المتلقي إلى اشتراك التركيب الحالي مع الحكم السابق، فهو من هذه الجهة داخل في الاقتصاد"[٥].

٢- استمرارية النص: فالغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض، واتصالها، والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الأولى"[٦].

---

(١) نظرية علم النص، حسام فرج، (٩٥).

(٢) النص والخطاب والإجراء، تمام حسان، (٣٤٧).

(٣) لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٤).

(٤) كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، مُحَمَّد بن علي التهانوي، تحقيق: أحمد علي بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، (١١٨٩/٢)

(٥) ينظر: نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عمر أبو خرمه، (١٨٤)، (بتصرف).

(٦) شرح المفصل، ابن يعيش، (٢٧٨/٢).

٣- كمال الارتباط وكمال الانفصال –أمن اللبس- : الربط في معظم الحالات قرينة لأمن اللبس في فهم الانفصال، ويعد في حالات قليلة قرينة لأمن اللبس في فهم الارتباط، فلو حذف لنشأت علاقة تبادل، وهي علاقة ارتباط، والربط بالعطف توسط بين كمالين، كمال الارتباط وكمال الانفصال[١]، فغياب الوصل "يدخل المعنى في غيابات الغموض أو في متاهات اللبس، وكلا الغموض، واللبس آفة من آفات الاتصال والتفاهم"[٢].

٤- انعاش الذاكرة: لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي تعين على الوصول إلى هذه الغاية[٣].

٥- استمرارية النص: فالربط يجعل النص في سلسلة خطية متتابعة، وذات أحداث متتالية.

ثالثًا: وسائل الوصل[٤]:

- الوصل الإضافي: الوصل الإضافي يربط الأشياء التي لها نفس الحالة، فكل منهم صحيح في علم النص، وغالبًا ما يشار إليه بواسطة الأدوات (و- أيضًا- كذلك- أو- أم)[٥]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾(مريم:١٦)، ﴿ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ (المؤمنون:٥٠)، ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾(التحريم:١٢).

- الوصل العكسي أو الاستدراكي: وهو "يربط بين صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة تعارض"[٦]، وعادة يشار إليها بالأداة (لكن- مع ذلك- على الرغم من- على أية حال)، ويطلق عليه أيضًا: «وصل النقيض»: حيث يربط شيئين لهما نفس المكانة، ولكنهما يبدوان متدافعين أو غير متسقين في عالم النص، كأن يكونا سببًا ونتيجة غير متوقعة[٧]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾(آل عمران:٣٦).

---

(١) ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، (٢٠٠).

(٢) البيان في روائع القرآن، تمام حسان، (١٠٧).

(٣) المرجع السابق، (١٠٩).

(٤) لسانيات الخطاب، مُحَمَّد خطابي، (٢٣).

(٥) ينظر: علم لغة النص، عزة شبل، (١١١).

(٦) نحو النص اتجاه جديد، أحمد عفيفي، (١٢٩).

(٧) ينظر: علم لغة النص عزة شبل، (١١١).

- الوصل السببي: ويطلق عليه «التفريع»، وهو "علاقة بين صورتين بينهما حالة تدرج، أي إن تحقق وحدة منهما يتوقف على حدوث الأخرى"[١]، و"ليس من الضروري أن يكون له تركيب مشابه للبنية السطحية"[٢]، ويشار إليه بالأداة (نتيجة لـ – سبب لـ)، أو باستخدام الحروف السببية، والوصل السببي هو الذي يمكننا من إدراك العلاقة المنطقية[٣]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾(مريم:١٩)، ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً﴾(مريم:٢١).

- الوصل الزمني: وهو الوصل بين جملتين متتابعتين زمنيًا[٤]، ويشار إليه بالأداة (ثم– بعد)، أو تعبيرات مثل: مثل: (وبعد ذلك– على نحو تال)، وقد تشير إلى ما يحدث في الوقت ذاته (في ذات الوقت– حالًا– هذه اللحظة)، أو تشير إلى السابق (قبل هذا– سابقًا)[٥]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾(آل عمران:٣٧)، عمران:٣٧)، ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ﴾(مريم:١٦)، ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ (الأنبياء:٩١).

(١) نحو النص اتجاه جديد، أحمد عفيفي، (١٢٩).

(٢) النص والخطاب والإجراء، تمام حسان، (٣٤٧).

(٣) لسانيات الخطاب، مُحَمَّد خطابي، (٢٣).

(٤) المرجع السابق.

(٥) ينظر: علم لغة النص، عزة شبل، (١١٢).

المطلب الخامس: التكرار: (Reiteration)

أولًا: مفهوم التكرار : لغة: "الكاف والراء أصل صحيح يدل على جمع وترديد. من ذلك: (كررت، وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى)"[١].

اصطلاحًا:

عرفه النحويون بأنه: " الإتيان بشيء مرة بعد أخرى" [٢].

وعرفه البلاغيون بأنه: " وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يردها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسيم منه"[٣].

وعرفه المفسرون بأنه: "ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، بقَصّه باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وبقصّه باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني"[٤].

وعرفه النصيون بأنه: "إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف، أو عنصرًا مطلقًا أو اسمًا عامًا"[٥]، ويعبر أحمد عفيفي عن التكرار بإعادة اللفظ[٦]ويطلق عليها الأزهر الزناد: (الإحالة التكرارية) [٧].

ثانيًا: ظاهرة التكرار:

تعد ظاهرة التكرار ظاهرة نحوية قديمة ولكنها لم تعالج بنفس الطريقة التي عولجت بها اليوم، فالتكرار في النحو العربي، عولج في باب المبتدأ والخبر، بوصفه رابطًا من الروابط، وذكره ابن هشام في روابط الجملة بما هي خبر عنه،

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، (١٢٦/٥)، مادة (ك ر).
(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني، (٦٥/١).
(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق، (٣٣٣/١).
(٤) جامع البيان، الطبري، (١٧٨/٦).
(٥) لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٤).
(٦) نحو النص اتجاه جديد، أحمد عفيفي، (١٠٧).
(٧) ينظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، (١١٩).

حيث عد إعادة المبتدأ بلفظه أو معناه من الروابط التي تربط جملة الخبر بالمبتدأ[١]، وعده تمام حسان أصل الربط في النحو العربي بقوله: "والأصل في الربط أن يكون بإعادة اللفظ، لأنها أدعى للتذكير وأقوى ضمانًا للوصول إليه"[٢]، وقد يعده البعض من التوكيد إلا إن أبرز فرق بينهما هو "ما وقع فيه الفصل بين المكررين، فإن التأكيد لا يفصل بينه وبين المؤكد"[٣]، وكذلك ما أشار إليه الزركشي بـ"أن التكرير أبلغ من التأكيد، لأنه وقع في تكرار التأسيس، وهو أبلغ من التأكيد، فإن التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز"[٤] .

عولج في التفسير لإبراز جماليات الإعجاز القرآني ودحض للشبهات، فالتكرار يعد من طرق الكشف عن اللطائف القرآنية، وقد أنكر البعض كونه من فصاحة العرب، إلا إن الزركشي أجابهم بفائدته بقوله: وهو "من أساليب الفصاحة ظنًا أنه لا فائدة له، وليس كذلك، بل هو من محاسنها لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض"[٥]، وقد أولوه عناية في مؤلفاتهم كما الكرماني في كتاب أسماه (أسرار التكرار في القرآن الكريم)، وأفرد له بابًا كلٌ من الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، والسيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن).

كما عولج التكرار في البلاغة بوصفه من أصول البديع، وقد سماه السجلماني بـ (البناء)، في ذلك يقول: "البناء هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد وعلى الإطلاق، المتحد المعنى كذلك مرتين فصاعدًا"[٦] مما يدل وظيفته الترابطية.

فبذلك قام النحويون والبلاغيون بدراسة التكرار لغاية تقعيدية تعليمية، وأتبعهم النصيون ذلك في غاية وصفية، وقد "وقف علماء لغة النص على أربع درجات للتكرار، بينما وقف البلاغيون العرب على درجتين فقط (إعادة العنصر المعجمي، والترادف أو شبه الترادف)"[١].

---

(١) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، (٦٤٧).

(٢) البيان في روائع القرآن، تمام حسان، (١٠٩).

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي،(٥٠٣).

(٤) البرهان، الزركشي، (١١/٣).

(٥) المرجع السابق، (٩/٣)

(٦) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماني، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ١٩٨٠م، (٤٧٧).

فقد عالجه النصيون على طريقتين، منهم من عده وظيفة تماسك معجمية، مثل دي بوجراند؛ فيرى أن التكرار "يبقى محصورًا في إعادة وحدة معجمية بعينها"[٢]، وكذلك أنس فجال، ومنهم من عالجه ضمن الإحالة، منهم الأزهر الزناد، وقد سبق ذكره، وكذلك أصحاب تحليل الخطاب بول وبراون.

ثالثًا: دور التكرار في التماسك النص والقصص القرآني:

يعد التكرار من وسائل التماسك النصي التي تظهر على البنية السطحية، لكنه ذات بعد دلالي في الوقت ذاته، يصبح التكرار وسيلةً معجميةً، ووسيلةَ إحالةٍ في الوقت ذاته، فهو "ربط يتحقق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر على عنصر آخر، أي هو الربط الإحالي الذي يقوم على مستوى المعجم (Lexical) ، فيحدث الربط بوساطة استمرارية المعنى بما يعطي النص صفة النصية، حيث تتحرك العناصر المعجمية على نحو منتظم في اتجاه بناء الفكرة الأساسية للنص (Topic)"[٣]، وأشار إلى ذلك تمام حسان كون التكرار ضربًا من ضروب الإحالة بقوله: "وللإحالة شأن آخر في مجال الربط هو التذكير بعنصر آخر من عناصر الجملة، والأصل في هذه الإحالة أن يتكرر اللفظ بذاته، فيحيل إلى ذكره الذي سبق، فهذا التكرار يحيل إليه بنصه وليس بالإضمار له، ولا الإشارة إليه ولا إعادة معناه بوسيلة أخرى تحتمله وتحتمل غيره"[٤].

كما أن التكرار وسيلة تماسك معجمي قائمة بذاتها لا تحتاج إلى أداة ، فالربط المعجمي يتميز "بأن الوحدات المعجمية تتصف في ذاتها بالربط، حيث إن بعضها يفسر بعضًا، وليست بحاجة ضرورية إلى أداة تربط بينهما"[٥]، فيظهر بذلك دورها التداولي في إعمال ذاكرة المتلقي الدلالية.

---

(١) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جمال عبدالحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، (٨٥).

(٢) النص والخطاب والإجراء، تمام حسان، (٣٠٣).

(٣) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٥٧٨).

(٤) الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتاب، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، (٨٩-٩٠).

(٥) ينظر: علم لغة النص، عزة شبل، (١٠٥).

فأسهم التكرار في تكوين ذاكرة دلالية لدى المتلقي لا غنى له "من الاستناد إليها لتمام الفهم؛ وبذلك تعكس الإحالة التكرارية القاعدة الخلفية للعناصر الإحالية، وتضعها في الإطار الدلالي العام للنص؛ وبالتالي تكون القراءة الجزئية المعزولة بين قطبي الإحالة دون اعتبار العناصر اللسانية المجاورة منعرجًا يجنب المتلقي الفهم الصحيح"[١].

يعد التكرار "أكثر من عملية جمع هي عملية ضرب، فإن لم تكن كذلك، فهي وليدة ضرورة لغوية، أو مدلولية، أو توازن، أو هي تجري لملء البيت والبلوغ به إلى منتهاه، وهذه الضرورة يتنزه عنها كثير من النصوص البشرية الإبداعية، بل النص المعجز"[٢].

فكل ما سبق يشير إلى أن التكرار عملية شكلية ودلالية وتداولية، شكلية في ظهورها على البنية السطحية ودلالية في إحالتها للعناصر السابقة، وتداولية في إعمالها لذاكرة المتلقي.

يعد التكرار في القصص القرآني سمة قرآنية، و لا يعد تكرارًا كاملًا، بل "تكرار نسبي، بمعنى أن الغرض الديني هو الذي يملي إعادة القصة، ولكنها في هذه الإعادة تلبس أسلوبًا جديدًا، وتخرج إخرجًا جديدًا، يناسب السياق الذي وردت فيه، وتهدف إلى هدف خاص لم يذكر في مكان آخر، حتى لكأننا أمام قصة جديدة لم نسمع بها من قبل"[٣]، كما أنه يظهر بوضوح في السور المكية[٤].

كما أن تكرار القصص القرآني يسهم في رسم الشخصية القرآنية، "فإن المتتبع للقصص القرآني يستطيع أن يتعرف ويحكم على شخصياته من خلال أحداثها، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره"[٥] وبتتبعنا لشخصية مريم عليها السلام ، وجدنا أنها شخصية تمتاز بالزهد عن الدنيا والعبودية وذلك بدليل: ﴿مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (مريم:١٦)، وتكررت الإشارة لعبوديتها بالإحالة الدلالية بين الاسم والمسمى في قوله تعالى:

---

(١) الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النصي بين القدماء والمحدثين، ميلود نزار، مجلة العلوم الإنسانية، السنة السابعة، العدد: ٤٤، ٢٠١٠م، (١١).

(٢) النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبدالباسط، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، (١٥٣).

(٣) التعبير الفني في القرآن، بكري، (٢١٨).

(٤) ينظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الثامنة، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، (٢٥٣).

(٥) الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، عمر محمد عمر باحاذق، (١١١).

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾(آل عمران:٣٦)، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾(آل عمران:٣٧)، ﴿اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(آل عمران:٤٣)، ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ﴾ (التحريم:١٢)، وبالعفة بدليل ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ﴾ (مريم: ١٨)، ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾(الأنبياء:٩١)، ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ (التحريم:١٢)، ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (مريم:٢٧)، ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ (مريم: ٢٣)، فقد تمنت الموت حتى لا تظهر لهم بما لا يشبهها ويشبه قومها، وبالذكاء والفطنة بدليل: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ (آل عمران:٤٧)، ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ (مريم:٢٠)؛ فقد أشار سبحانه إلى كون الولد منها وحدها ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: ٤٥) ففهمت هذا، وغيرها من الصفات التي تميزت بها مريم عليها السلام.

وقد تعددت وظائف التكرار، ومن أبرزها:

١- اكتساب النص معانٍ جديدة: فالعناصر المتكررة "تكتسب في كل مرة معانٍ جديدة إضافية إلى جانب كونها روابط إحالية شكلية ودلالية تعمل على تلاحم السلاسل الكلامية وتوشجها؛ وبالتالي فالتكرار إحالة اللاحق على السابق، وتعلق به إحيائه، وإعادة بعثه وتجديد خلقه، واستحضار لفظه، إن كان لفظيًا، أو ما يؤدي معناه ودوره الوظيفي في البنية اللسانية إن كان معنويًا لتعزيز فاعليته"[١]، وكذلك أشار إليه حسام فرج بقوله: " أن التكرار عامة يسمح للمتكلم أن يقول شيئًا مرة أخرى بالتتابع مع إضافة بعد جديد له"[٢]

٢- انعاش الذاكرة / الأمن من النسيان أو السهو: وهذه الوظيفة تعد من أبرز الوظائف النصية، فعلماء النص "يعتمدون على إنجازات علم النفس المعرفي أو الإدراكي في مجال الذاكرة بنوعيها: طويلة المدى وقصيرة المدى، وآليات التذكر"[٣]، ويعمل كذلك على لفت انتباه المتلقي فهو "أحد العوامل التي ترتبط بالقدرة على الفهم، فالفهم يكون أسرع في حالة استخدام التكرار بنفس الألفاظ، مقارنة باستخدام الترادف"[٤].

---

(١) الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النصي بين القدماء والمحدثين، ميلود نزار، (٥)، (بتصرف).

(٢) نظرية علم النص، حسام فرج، (١٠٦).

(٣) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جمال عبدالحميد، (٩٢).

(٤) علم لغة النص، عزة شبل، (١٠٥).

٣- تكثيف الطاقة الدلالية: وتتم عبر التركيز على تكرار المقاصد وتحقيق "الكفاءة النصية حيث ينبغي للعملية التواصلية أن تكون سهلة"[١].

٤- تحديد محور النص أو بؤرته: وبيان أهم المقاصد التي يرمي إليها، "التكرار يسمح بتحديد الجمل الأساسية والثانوية في النص وتحديد الكلمات المحورية التي يميل الكتاب غالبًا إلى تكرارها"[٢].

٥- بيان قدرة مخرج النص: فهو يعد مقياسًا لقدرة الكاتب، "كما يشير إلى الطريقة التي يبنى بها النص دلاليًا؛ من حيث كونه مقياسًا للتوازن بين المعلومات الجديدة والقديمة في النص؛ فنقص التكرار يشير إلى عدم قدرة الكاتب على التوسع في الأفكار الأساسية بإدخال معلومات جديدة"[٣].

٦- التأكيد والإفهام وزياد التنبية: "لأن التكرار يفيد العناية بالأمر والاهتمام به، وزيادة التنبه له، وخشية تناسي الكلام الذي ذُكر أولًا، فلا تنصرف النفس عنه، وقد راعى القرآن ذلك فكرر، وضاعف التكرار في بعض السور حين أراد مضاعفة الاهتمام والعناية بما يقول"[٤]، فـ" زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول"[٥]، وقد أولى العناية بهذه الوظيفة اللغويون والبلاغيون والمفسرون، وقد أشار إليها ابن جني بقوله: "سنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر"[٦].

٧- شحن النص بالطاقات التأثرية: فالتكرار يعمل على شحنه بطاقة "مرجعها الأولي البناء الموسيقي المميز، الذي يتأسس على تماثل الصيغ المكررة أو تشابهها"[٧]، كما يعمل على الشعور الوجداني، فللتكرار "تأثير في روح المستنيرين، وتأثيره أكبر في عقول الجماعات من باب أولى، والسبب كون المكرر ينطبع في تجاويف الملكات

---

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء، تمام حسان، (٢٩٩).

(٢) نظرية علم النص، حسام فرج، (١٠٧).

(٣) علم لغة النص، عزة شبل، (١٠٥).

(٤) أثر النحاة في البحث البلاغي، عبدالقادر حسين، (١٩١).

(٥) البرهان، الزركشي، (١٤/٣).

(٦) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس ، الناشر: مُحَمَّد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ١٩٩٧م، (١٥٨).

(٧) النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، مُحَمَّد عبدالباسط، (١٥٤).

اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان، فإذا انقضى شطر من الزمن نسي الواحد منا صاحب التكرار وانتهى بتصديق المكرر"[١].

٨- التثبيت: وقد أشار إليها صاحب خصائص التعبير القرآني بقوله: أنه "يحول المكرر إلى معتقد"[٢].

٩- الربط والتماسك: وتحقق عن طريق "العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص، بشرط أن يكون للعنصر المكرر نسبة ورود عالية في النص، فيحقق السبك عن طريق امتداد العنصر من بداية النص حتى آخره[٣].

١٠- الإجمال والتفصيل: وتتم تلك الوظيفة عن طريق أن "يرد منه شيء يكون بناؤه بطريق الإجمال والتفصيل بأن تتقدم التفاصيل والجزئيات في القرآن فإذا خشي عليها التناسي لطول العهد بها بنى على ما سبق بها بالذكر الجملي"[٤]

رابعًا: أنواع التكرار:

يعد التكرار لدى هاليداي ورقية سلم من أربع درجات " يأتي في أعلاه إعادة العنصر المعجمي نفسه، يليه الترادف (أو شبه الترادف)، ثم الاسم الشامل، وفي أسفل تأتي الكلمات العامة"[٥].

١- التكرار الكلي (full recurrence): أي إعادة أعيان الألفاظ، أو تكرار الكلمة نفسها، ويندرج تحته نوعان:

أ. التكرار المباشر للعنصر المعجمي (the direct repetition):[٦] هو تكرار اللفظ مع وحدة مرجعه (بكون الحال عليه واحدًا)... وهذا النوع يشير إلى أن المتكلم يواصل حديثه عن الشيء نفسه، بما يعني استمراره عبر النص[٧]، يظهر التكرار المباشر في ضوء مستويات عدة: مستوى النحو، ومستوى الوحدات المعجمية يظهر

(١) من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، نهضة مصر، ٢٠٠٥م، (١١٢).

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبدالعظيم مطلعي، (٣٣٤/١).

(٣) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج، (١٠٧).

(٤) البرهان، الزركشي، (١٥/٣).

(٥) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبدالمجيد، (٧٩).

(٦) يطلق عليه (Hoey) التكرار المعجمي البسيط (simple lexcal repetition).

(٧) علم لغة النص، عزة شبل، (١٠٦).

المستوى النحو في تكرار المقولات النحوية؛ كالاسم، الفعل، ويظهر المستوى المعجمي بتكرار الكلمات نفسها أو التعبيرات[١].

ويظهر لي أنه على مستوى النحو يسهم في تماسك القصة على مستوى السورة الواحدة، ومثال ذلك من مستوى الاسم قوله تعالى: ﴿جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾(مريم:٢٣)، و﴿بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾(مريم:٢٥)، وعلى مستوى الفعل أقوال القول في الحوار القصصي قوله تعالى: ﴿قَالَتِ﴾ (آل عمران:٣٦-٣٥) العائدة على أم مريم عليها السلام، وعلى مستوى المعجمي يسهم على مستوى القصة، كما في قوله تعالى:﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ (مريم:٢٠)، ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ (آل عمران:٤٧).

ب. الاشتراك اللفظي (homonymy): المراد به تكرار اللفظ مع اختلاف مرجعه (يكون المحال عليه متعددًا)، وهو تكرار معجمي غير مقترن بالتكرار في المفهوم، حيث يتكرر استعمال كلمتين بلفظ واحد ومعنيين مختلفين،[٢]، وهذا النوع لا يسهم في الربط الشكلي أو الدلالي، بل يخدم الجانب الصوتي، وأشار إلى ذلك أنس فجال بقوله: "هنالك نوعٌ من التكرار لا إحالة فيه، كالمشترك اللفظي الذي يتفق فيه اللفظان، ويختلف مدلوله، وهذا النوع من التكرار إن لم يتم تحقيق التماسك النصي بسببه لكونه عنصرًا غير محيل، فإنه يسهم في تحقيق التماسك من خلال الانسجام الإيقاعي والتناغمي بين عناصر النص و مكوناته[٣].

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ﴾ (آل عمران:٤٢) فالاصطفاء الأول غير الاصطفاء الثاني، وفي ذلك يقول الرازي: " اعلم أن المذكور في هذه الآية أولا: هو الاصطفاء، وثانيا: التطهير، وثالثا: الاصطفاء على نساء العالمين، ولا يجوز أن يكون الاصطفاء أولا من الاصطفاء الثاني، لما أن التصريح بالتكرير غير لائق، فلا بد من صرف الاصطفاء الأول إلى ما اتفق لها من الأمور الحسنة في أول عمرها، والاصطفاء الثاني إلى ما اتفق لها في آخر عمرها"[٤] .

---

(١) ينظر، الدلالة والنحو، صلاح الدين حسنين، (٢٣٦).

(٢) علم لغة النص، عزة شبل، (١٠٧).

(٣) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٦٣٢).

(٤) التفسير الكبير، الرازي، (٢١٧/٨).

٢- التكرار الجزئي (partial recurrence)[١]: هو تكرار عنصر سبق استخدامه بأشكال وفئات مختلفة، أو هو "الاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي"[٢] التكرار الجزئي هو مبحث الاشتقاق عن العلماء القدماء، يرى أن ما يميز الاشتقاق عن أنواع التكرار الأخرى "هو احتمالية تعدد أطرافه، وإذ يمكن أن يشتق من المادة الواحدة أكثر من اشتقاق؛ ومن ثم يكون السبك بين عدة ألفاظ وليس بين لفظتين فقط وحين تتوزع على امتداد النص يبدو السبك المعجمي شاملًا لهذا الامتداد"[٣]، و يخدم الجانب الصوتي والدلالي، ومثال ذلك تكرر جذر (ع و ذ) في قوله تعالى: ﴿أُعِيذُهَا﴾ (آل عمران:٣٦)، ﴿أَعُوذُ﴾ (مريم:١٨).

٣- الترادف أو شبه الترادف (a synonym or near – synonymy)[٤]: هو التكرار الذي يختلف فيه اللفظان ولكن المعنى واحد "ويرجع استخدام الترادف بدلًا من التكرار المباشر للكلمة إلى نفي الشعور بالضجر والملل، حيث إن المرادف المستخدم يضفي على المحتوى تنوعًا" ؛ ويقول ابن قتيبة: "إن تكرار المعنى بلفظتين يفيد إشباع المعنى؛ أي: يحقق إيضاح المعنى"[٥]، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (مريم:٢٠)، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (مريم:٢٦).

٤- الكلمة الشاملة (a superordinate word): هو اسم يحمل أساسًا مشتركًا بين عدة أسماء، ومن ثم يكون شاملًا لها،.. وذهب جون لاينز إلى أن مجموعة الألفاظ التي تندرج تحت اسم يجمعها أو يشملها يطلق علها (التواصل) (Hyponomy)[٦]، فقد تكررت ألفاظ الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿امْرَأَتُ﴾(آل عمران:٣٥)، ﴿أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾(آل عمران:٣٦)،﴿نِسَاءِ﴾(آل عمران:٤٢)، ﴿وَلَدٌ﴾(آل عمران:٤٧)، ﴿بَشَرًا﴾(مريم:١٧)، ﴿غُلَامًا﴾ (مريم:١٩)، ﴿غُلَامٌ﴾(مريم:٢٠)،

---

(١) ينظر: في البلاغة العربية واللسانيات النصية، (٢٤٣)، ويطلق عليه (Hoey) التكرار المعجمي المركب(Complex lexcal reprtition)

(٢) المرجع السابق، (٨٢).

(٣) المرجع السابق، (١٠١).

(٤) يطلق عليه (Hoey) إعادة الصياغة البسيطة (simple paraphrase)

(٥) الدلالة والنحو، صلاح الدين حسنين، (٢٤٣).

(٦) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جمال عبدالحميد، (٨٣).

﴿لِلنَّاسِ﴾(مريم:٢١)،﴿إِنْسِيًّا﴾ (مريم:٢٦)، ﴿أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ﴾ (مريم:٢٨) ﴿ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ﴾ (المؤمنون:٥٠)، ﴿وَابْنَهَا﴾ (الأنبياء:٩١)،﴿ابْنَتَ﴾(التحريم:١٢).

٥- الكلمات العامة (a general words): هي كلمات فيها من العموم الشمول ما يتسع بكثير عن الشمول الموجود في الاسم الشامل[١]، أو نقول: "هي مجموعة من الكلمات لها إحالة عامة، وتستخدم وسائل للربط بين الكلمات في النص" [٢]، ومثال ذلك كل ما دل على مكان كما في قوله تعالى: ﴿الْمِحْرَابَ﴾آل عمران:٣٧)، ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾(مريم: ١٦)، ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (مريم:٢٢)، ﴿رَبْوَةٍ﴾(الأنبياء:٥٠).

(١) المرجع السابق.

(٢) علم لغة النص، عزة شبل، (١٠٨).

المطلب السادس: المصاحبة اللغوية (COLLOCATION):

أولًا: مفهوم المصاحبة: لغة: "الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقاربته"[١].

اصطلاحًا: عرفه هاليداي ورقية حسن باعتباره علاقة معجمية دلالية، بأنه: "ربط لفظي بين أزواج من العناصر المعجمية تظهر مع بعضها البعض في علاقة معجمية – دلالية يمكن إدراكها"[٢]، وكذلك ما ذكره مُحَمَّد خطابي، بأنه: "هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرًا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[٣]،

وباعتباره علاقة معجمية تداولية، بأنه: "ربط معجمي حيث يرتبط عنصر بعنصر آخر من خلال الظهور المشترك المتكرر في سياقات متشابهة"[٤]، وباعتباره علاقة

عبر عنه مُحَمَّد الخطابي بـ(التضام)[٥]، وهو المصطلح الأكثر استعمالًا، وعبر عنه حسام فرج بـ(المصاحبات اللغوية)[٦]، كما "يرى لا ينز أن مصطلح (تصاحبي) من المفترض أن يكون معادلًا للمصطلح معجمي"[٧].

ثانيًا: دور المصاحبة اللغوية في تماسك النص والقصص القرآني:

تعد المصاحبة اللغوية من عناصر التماسك النصي على المستوى المعجمي، فيما يرى بعضهم أنها الأساس في التماسك المعجمي، "المصاحبة اللغوية تمثل الأساس في التماسك المعجمي بما تحمله من تنوع في ضروبها وتعدد في أنماطها؛ فيحدث ذلك التضام المتسع على مستوى النص"[٨]، فيما يذهب بعضهم إلى كونها وسيلةً على

---

[١] مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣/٣٣٥)، مادة (ص ح ب).

[٢] علم لغة النص، عزة شبل، (١١٠).

[٣] لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٥).

[٤] علم لغة النص، عزة شبل، (١٠٩).

[٥] ينظر: لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٤).

[٦] نظرية علم النص، حسام فرج، (١١١).

[٧] المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، مُحَمَّد مُحَمَّد يونس علي، دار المدار الإسلامي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م (١٢٢).

[٨] المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص، نوال إبراهيم الحلوة، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م، (٨٠).

المستوى المعجمي الدلالي؛ "معجمية لارتباطها بالدلالة على المستوى الرأسي، ونحوية بربط تجميعها التركيبي"[١]، فيرى أنها "تحدث من خلال تلبسها للعلاقات الدلالية ترابطًا منطقيًا يخلق كلية داخل النص، تتسم بالترتيب والتنظيم بين الأحداث المكونة له"[٢]، ولعل هذا ما دعا تمام حسان إلى فصل المصاحبة اللغوية –يعبر عنها بالتضام– إلى وجهين[٣]، وهما:

الوجه الأول: التضام، وهو الطرق الممكنة في رصف جملة ما، فتختلف طريقة منها عن الأخرى، ويمكن أن يطلق عليها التوارد، وهو بذلك أقرب لدراسة الأساليب التركيبية البلاغية.

الوجه الثاني: أن يستلزم أحد العنصرين التحليين النحويين عنصرًا آخر، فيسمى هنا التلازم، أو يتنافى معه ويسمى هنا التنافي.

تعد علاقة المصاحبة اللغوية علاقةً مشروطةً بتوارد العناصر مع بعضها البعض، كلما ذكر أحدهما حضر الآخر، وقد يشكل ذلك صعوبة على المتلقي؛ كونه أكثر الأنواع صعوبة في التحليل "لكن القارئ يتجاوز هذه الصعوبة بخلق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية معتمدًا على حدسه اللغوي، وعلى معرفته بمعاني الكلمات"[٤]، فهي من العناصر التي "تتميز بعد افتقارها إلى مرجعية سابقة أو لاحقة"[٥]، كما أنها لا تعد علاقة داخلية في النص ذاته، بل داخليه في اللغة المشتركة ذاتها.

وللمصاحبة دور في تماسك النص القرآني، لا يقل عن عناصر التماسك الأخرى، فالنص القرآني نص محكم مترابط كأنما هو سورة واحدة، فبوجود هذه العلاقات من أنواع المصاحبة يتكون الترابط بين أجزاء القصة، وكما أن نسبة ورودها في القصة تزيد من مدى تماسك القصة ببعضها، وعلى الرغم من أن التماسك يحدث ببعد المسافة بين عناصره، و المصاحبة اللغوية –كما ذكرنا سابقًا– علاقة تخلو من المرجعية، إلا إنها تحقق تماسكًا

[١] ينظر: المرجع السابق،(٧٠).
[٢] المرجع السابق، (٧٨).
[٣] ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (٢١٧-٢١٦).
[٤] لسانيات الخطاب، مُحَمَّد خطابي، (٢٥).
[٥] نظرية علم النص، حسام فرج، (١١١).

للنص بقصر المسافة بينها، وهذا يعود لعلاقات العناصر الدلالية التي تكونت لدى المتلقي، وكما تسهم في جمع الكاتب والمتلقي في ثقافه واحدة تملك الدلالات ذاتها، وكما تسهم المصاحبة اللغوية في القصص القرآني، في تحديد دوال تصاحب سياقات معينة، فاستعمالهم لكلمة (امرأة)، بالتاء المفتوحة يصاحب السياقات التي تذكر فيها المرأة مع زوجها، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ (آل عمران:٣٥).

وتؤدي المصاحبة اللغوية وظائف، من أبرزها:

١- سلامة النص: ضمان التناسب اللغوي والمعرفي بين العناصر المتواردة في وحدة خطابية معينة، ولا يقتصر دورها على ضمان اتساق الخطاب، بل ضمان سلامته كذلك، فإذا اخترقت نتج خطاب لاحن لغويًا أو معرفيًا[١].

٢- تكثيف المعنى وتحديد المقصد: فـ"رصف المفردات المتصاحبة يسهم في تكثيف المعنى الداخلي له، ويحقق الربط المعجمي من جانب، ويبرز الموضوع من جانب آخر"[٢].

٣- اجتماع فكر الكاتب والمتلقي: فهي "وسيلة للتعبير عن تجارب الجماعة اللغوية، وقدرتها على الربط بين اللغة والكون والحياة" [٣].

٤- الربط: وهي من أهم الوظائف التي تؤديها، فتربط النص معجميًا ودلاليًا، وتعدد أنواعها فلا يخلو نص منها.

٥- انعاش الذاكرة: فهي تعود بالمتلقي إلى ذاكرته الدلالية، كما تعمل في عملية الفهم والإفهام

ثالثًا: ضوابط المصاحبة [٤]:

- التضام بين الوحدات الدلالية.
- التقارب المكاني بين المتصاحبات ولا تلزم المجاورة.

---

[١] ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية -بنية الخطاب من الجملة إلى النص-، احمد المتوكل، (١٣٦).

[٢] المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص، نوال إبراهيم الحلوة، (٧٨).

[٣] المرجع السابق.

[٤] المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص، نوال إبراهيم الحلوة، (٧٢).

- العلاقة الدلالية بين المتصاحبين.
- تتكون من رأس وذيل.
- قابلة للفك والتغيير.

رابعًا: أنواع المصاحبة اللغوية:

- التضاد أو التقابل: وهو أن يجمع بين الشيء وضده في النص، ومثال ذلك في قصة مريم عليها السلام، قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾(آل عمران:٣٦)، ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾(مريم:٢٨)، وشبه التضاد كما في قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾(مريم:٢٦)، ويعد التقابل فرعًا عن التضاد، وهو أن "يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم ما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب"[١]، ويبرز وظيفته " لتأكيد شمولية المعنى"[٢]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾(مريم:٢٣).
- علاقة الكل بالجزء والجزء بالجزء: وهي من العلاقات "التي لا تظهر إلا مع موضوعات خاصة يهدف الكاتب بها إلى تقديم وصف خاص لمفهوم عام"[٣]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾(مريم٢٥)، فالجذع هو جزء من النخلة.
- مراعاة النظير "وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه"[٤]، وتكمن أهميته في مساعدة "الكاتب على إظهار سعة معرفته، وهو جزء من ثقافته المشتركة بينه وبين المرسل إليه"[٥]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾(مريم:١٨)، بمصاحبة أعوذ للرحمن؛ لأنها أصل من أصول المؤمن بالله أن الاستعاذة لا تكون إلا به.

---

[١] نظرية علم النص، (١١٢).
[٢] المرجع السابق.
[٣] المرجع السابق، (١١٤).
[٤] نظرية علم النص، (١١٥).
[٥] ينظر: المرجع السابق، (١١٦).

المبحث الثاني: التماسك الدلالي (Coherence):

يمثل التماسك الدلالي المستوى العميق للنص، ونعني به الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في باطن النص، وهو التماسك الحاصل في البنية العميقة لأدوات التماسك الشكلية في البنية السطحية؛ "التي تسمح للنص بأن يفهم ويستخدم[١]، والعلاقات هي حلقة الاتصال بين المفاهيم[٢]، فتعطي للنص قوته؛ فوحدة أي نص لا يمكن أن توجد بشكل كاف إلا بمراعاة بناء قاعدته الدلالية، أما وسائل التماسك الشكلية فهي تسهل على السامع التعرف على علة بناء القاعدة الدلالية في النصوص وفهم ذلك النص، وقد عبر هاليداي ورقية حسن عن أهمية البعد الدلالي بقولهم إن أفضل ما ينظر إلى النص على أنه وحدة دلالية، وحدة ليست في الشكل، بل في المعنى[٣]، ويكون "متى اعتمد تأويل جزء من أجزاء النص على تأويل عنصر آخر منه، فلا يتسنى لأول إلا بالثاني"[٤] فالتماسك الدلالي عملية يقيمها كل من النص والقارئ معًا.

فهو أمر "نسبي يكون بالنسبة إلى سامع ولا يكون بالنسبة إلى آخر، وكذلك أمر اختباري تشهد على قيامه الملاحظة، وقد يتحقق بالروابط اللفظية بين أجزاء النص كما يمكن أن يتحقق دونها، وهو في الحالتين يعتمد على معرفة السامع بالعالم الذي تحيل عليه الجملة أو الجمل أي معرفته بما يسمى الأطر frames فيكون النص الواحد منسجمًا أو غير منسجم بحسب كون السامع عارفًا أو جاهلًا بتلك الأطر"[٥].

ويرى ألدن أن التماسك الدلالي يرتبط بطرفين أحدهما داخل النص وهي الأدوات الشكلية، وثانيهما خارج النص، وهو ما يعبر عنه بالبعد البرجماتي، فالتماسك الدلالي بالمفهوم السيكولوجي هو مجموعة من العلاقات

---

(١) نظرية علم النص، حسام فرج،(١٢٧).

(٢) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، سعد مصلوح، (٢٢٨)

(٣) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح العجمي (٣٧).

(٤) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، مُحَمَّد الشاوش، (١٢٤)

(٥) المرجع السابق، (١١١).

المفهومية يستخدمها القراء والكتاب في تعاملهم مع النص، مما يعطي النص بعدًا براجماتيًا واضحًا له، فالعوامل البراجماتية المرتبطة بتكوين النص وتلقيه كانت مجالًا لاهتمام الدراسات النصية ذات الصبغة الدلالية[1]

ووسائل التماسك الدلالي متعددة لا يمكن حصرها لتزايدها مع تعمق الدراسة في علوم اللسان، والبحث عن أشكالها، ومنها: الابتداء والانتهاء، الفصل والوصل، السياق وعلم المناسبة، وما يتصل بها، والحوار، والعلاقات الدلالية، مثل :الإجمال والتفصيل، والعموم والخصوص، والسبب والمسبب، والتقابل، والترادف، والتضاد.

سأعرض لنوعين من وسائل التماسك الدلالي، نظرًا لإمكانية البحث، وهما الإجمال والتفصيل، والسياق.

أهمية العلاقات الدلالية:

العلاقات الدلالية هي علاقات تربط بين أطراف النص دون وسائل شكلية، مثل علاقة الإجمال والتفصيل، والسبب والمسبب، والعموم والخصوص، وهي علاقات متواجدة في أي نص يعتمد الربط القوي بين أجزائه، كما لها دور الإخبار من أجل تحقيق درجة معينة من التواصل فركزت العلاقات الدلالية على المستوى الدلالي في لسانيات النص، ولقد أسهمت في التماسك وهي علاقات لا تكاد تخلو منها نص يحقق شرطيْ الإخبارية والشفافية مستهدفًا تحقيق درجة معينة من التواصل، سالكًا في ذلك بناء اللاحق على السابق[2].

كما أن التماسك الدلالي في عبارات القصص القرآني لا يظهر في حيث المعنى فحسب، وإنما "من حيث موسيقاه ذات النبرة الخاصة، والنغمة المتناسقة، التي فيها تآلف وانسجام، تتقبلها الأذن وتعيها بادئ ذي بدء، إذ بها تأنس، ومن صداها تحن إلى سماعها والإصغاء إليها"[3]، كما تضمن للنص "اتصال المقاطع ببعضها عن طريق استمرار دلالة معينة في المقاطع اللاحقة"[4].

---

(١) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج، (١٢٧)

(٢) ينظر: لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٦٩-٢٧٠).

(٣) الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، عمر مُحَمَّد عمر باحاذق،(١٧٠).

(٤) لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٧٢).

المطلب الأول: الإجمال والتفصيل:

أولًا: مفهوم الإجمال:

لغة: قال في أصله ابن فارس "الجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تجمع وعظم الخلق، فالأول قولك: أجملت الشيء، وهذه جملة الشيء، وأجملته حصلته"[١]، وأجمل الأمر: أبهم ومنه: المجمل: وهو ما لا يوقف على المراد منه إلا ببيان من جهة المتكلم [٢].

اصطلاحًا: هو ما خفي المراد منه بحيث لا يدرك بنفس اللفظ إلا ببيان من المجمل[٣]، ويرى العسكري أن "المجمل ما يتناول الأشياء أو ينبئ عن الشيء على وجه الجملة دون التفصيل"[٤].

أجملت قصة مريم عليها السلام في موضعها من سورة الأنبياء والمؤمنون والتحريم، ويعود سبب إجمالها للسياق الواردة فيه.

ففي سورة الأنبياء في قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٩١)، وردت في سياق ذكر موجز لقصص الأنبياء وما تعلق بهم، وفيه يقول البقاعي: "هذه القصص وما تقدمها من هذه السورة، فلذلك اتصل به قوله مخاطبًا لمن قال لهم: أفأنتم له منكرون"[٥]، وكون السياق سياق ذكر لأنبياء ذكور فعبر عنها باسم موصول مبهم وهو التي، كما أنه سياق ضرب مثل كما ذكرنا سابقًا.

وأجملت في سورة المؤمنون في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون: ٥٠)، "ولما كان من ذكر كلهم قد ردوا من جاءهم لإشعارهم استبعادهم؛ لأن يكون الرسل بشرًا،

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤/١)، (ج م ل).

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، (٤٢).

(٣) التعريفات، الشريف الجرجاني، (٢٠٤).

(٤) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري،(٥٨/١).

(٥) نظم الدرر للبقاعي، (٤٧٦/١٢).

وكان بنو إسرائيل الذين أعزهم الله ونصرهم على عدوهم وأوضح لهم الطريق بالكتاب قد اتخذوا عيسى-مع كونه بشرًا- إلهًا، اتبع ذلك ذكره تعجيبًا من حال المكذبين في هذا الصعود بعد ذلك نزول في أمر من أرسلوا إليهم، وجرت على أيديهم الآيات لهدايتهم، فقال: {وجعلنا} أي بعظمتنا {ابن مريم} نسبة إليها تحقيقًا لكونه لا أب له، وكونه بشرًا محمولًا في البطن مولودًا لا يصلح لرتبة الإلهية؛ وزاد في حقيق ذلك بقوله: {وأمه}" [1].

وأجملت في سورة التحريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (التحريم :١٢)، و"بزواج النبي ﷺ لآسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران في الجنة دار القرار السالمة عن الأكدار الزواج الأبدي فصار أول السورة وآخرها في أزواجه ﷺ"[2]، وصُرح باسمها لكون السياق سياق ذكر إناث.

مفهوم التفصيل:

لغة: قال في أصله ابن فارس "الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه، يقال: فصلت الشيء فصلًا.[3] وفي لسان العرب يعني البيان[4].

اصطلاحًا: هو ما "ظهر به مراد المتكلم للسامع؛ من غير شبهة، لانقطاع احتمال غيره، بوجود الدليل القطعي على المراد"[5]

وأطلقه القزويني على الإطناب، فعرف الإطناب أنه هو الإيضاح بعد الإبهام، ليرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس أفضل تمكن[1] .

(١) نظم الدرر للبقاعي، (١٣/١٤٨).

(٢) المرجع السابق، (٢٠/٢١٥)

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤/٥٠٥)، (ف ص ل).

(٤) لسان العرب، ابن منظور، (١١/٥٢٤)، (ف ص ل)

(٥) ميزان الأصول في نتائج العقول، علاء الدين السمرقندي، تحقيق: محمد زكي عبد البر، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ١٩٨٤ م، (١/٣٥١).

فصلت القصة مريم عليها السلام في سورة آل عمران ومريم، إلا إن أجزاء التفصيل اختلفت ففي سورة آل عمران ذكر مشهد ولادتها ومشهد النذر، ومشهد قبول الله لها وكفالة زكريا لها، مشهد التبشير بعيسى عليه السلام، وفي سورة مريم ذكر مشهد الانتباذ، ومشهد حوار مريم مع جبريل عليه السلام، ومشهد الحمل والوضع، ومشهد عودتها لقومها، ومشهد تصديقها بحديث عيسى عليه السلام.

إجمال مشهد الإحصان في كل من سورة الأنبياء، والمؤمنون، والتحريم، وتم تفصيله وتبين المقصود منه في سورة مريم من استعاذتها حينما رأت جبريل عليه السلام، وتمنيها الموت عندما أتاها المخاض، وابتعادها عن قومها وخوفها منهم، وكذلك إجمال كونها وابنها آية للعالمين وتفصيل آيتها بالحمل بعيسى عليها السلام مين غير ذكر في سورة مريم عليها السلام.

كما ساعد التفصيل في تفسير الانتباذ في سورة مريم في تحديد سبب الانتباذ، وهو "التعبد لله"[٢] بدليل قبول الله لها في النذر، وكذلك حرصها على اختيار جهة الشرق في (مكانًا شرقيًا).

وعلى مستوى السورة قد يأتي التفصيل أولًا ثم الإجمال كما في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٢)، فجاء تفصيل معنى الاصطفاء الأول في السياق السابق في اصطفى الله لها من آل عمران –والله أعلم–، وجاء تفصيل التطهير في قصتها من سورة مريم، وجاء تفصيل معنى الاصطفاء الثاني في السياق اللاحق وهو اصطفاء مريم عليها السلام على نساء العالمين.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني الشافعي، تحقيق: مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٩٦/٣).

(٢) وذهب السُّدِّي إلى أن سبب الانتباذ هو التطهير من الحيض، ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٩٠/١١)

ثانيًا: دور الإجمال والتفصيل في تماسك القصص القرآني:

لإجمال والتفصيل من العلاقات الدلالية المهمة في القصص القرآني، فهو يلعب دورًا مهمًا في عملية ترابط القصة القرآنية في تكرارها ويعمل من جهة أخرى في تفسير القرآن بالقرآن، فالبلاغيون سموه إطنابًا ومفسرًا، فالتفصيل عملية إيضاح وبيان لما أبهم في المجمل فيما يشتبه على القارئ.

فالنص يبدأ بفكرة ثم يعود تناولها بشكل مجمل، أو العكس، فالإجمال يحتوي على العناصر الرئيسية للقصة الكبرى في عامة النص القرآني، "والأمر يشبه تقديم النتيجة على السبب"[1]، وقد يؤتى بالقضية مجملة أو مفصلة ليدعم السياق الواردة فيه أو الجزء الذي تحتله من السورة.

والغالب في هذه العلاقة وقع المجمل قبل المفصل لكن قد يتقدم المفصل لتحقيق غاية معينة وهي ما عبر عنها ابن عاشور بقوله: " للإجمال بعد التفصيل وقعًا من نفوس السامعين"[2].

والقصة القرآنية لم تلتزم طريقًا واحدًا من حيث الطول والقصر والإجمال والتفصيل، ويظهر لي أن الإجمال والتفصيل في القصة القرآنية على قسمين:

الأول: قسم عام على مستوى القصة في القرآن الكريم: ويظهر في الإجمال في مواضع يفسرها التفصيل في مواضع أخرى من القرآن الكريم، ويبرز هنا دور القارئ في مَلء تلك الفراغات، وهو هدف تداولي يقوم بإنعاش ذاكرة القارئ بملأ الفراغ، أو تنشيطها بالبحث عن ما يملأ الفراغ فيبحث عن ما يفسر هذا الإجمال فيما تبقى من القرآن أو في السنة النبوية باعتبارها المفسر الثاني للقرآن.

الثاني: قسم خاص على مستوى القصة في السورة: ويظهر فيها الجزء من القصة تباعًا لسياق السورة الواردة فيها مما يؤيد موضعها في السياق، فما يلزمها ما يؤيدها من إجمال أو تفصيل يرد، فالمقام في سورة التحريم

(١) نظرية علم النص، حسام فرج(١٤٦).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٠٢/١).

يستدعي الإجمال لأنه مقام ضرب مثل، والمثل نوع من الإيجاز لقلة ألفاظه وكثرة معانيه، "وهو علم منفرد بنفسه، لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه، وبالغ في التماسه حتى أتقنه"[1].

وكذلك ما ورد من تفصيل بعد إجمال اصطفاء آل عمران في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣)، "ولذلك عرفت أم مريم في هذا الخطاب بأنها امرأة عمران ليلتئم التفصيل بجملته السابقة"[2].

(١) جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، دار الفكر، بيروت، (١/٥).

(٢) نظم الدرر للبقاعي، (٤/٣٥٠).

المطلب الثاني: السياق (Context)

أولًا: مفهوم السياق:

لغةً: تنبه ابن فارس لما يحمله هذا الأصل من معنى فقال فيه: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشيء .. والساق للإنسان وغيره، والجمه سوق، إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها"[١].

وهو عند الزمخشري "يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"[٢].

وهو عند الجوهري "ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساقٍ واحدٍ، أي بعضهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية"[٣]، فالسياق في اللغة يدل على التتابع المنتظم تتابع الحديث أو الأحداث، دون انقطاع.

اصطلاحًا:

يعد السياق كأغلب المصطلحات الحديثة التي لم تجد تحديدًا دقيقًا، فكثرت تعاريفه، ولعل أحد الأسباب تعدد مجالاته من اللغوية والبلاغية وعلوم القرآن، وكذلك تفاوت التعاريف حسب مفهومه لدى القدماء والمحدثين والعرب والغرب.

يرى البعض أن السياق قريب من معنى النظم[٤] عند اللغويين القدامى، فالنظم لديهم هو: "توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، وأنا إن يقينا الدهر تجهد أفكارنا حتى نعلم، للكلم المفردة سلكًا ينظمها، وجامعًا يجمع شملها ويؤلفها، ويجعل بعضها بسبب من بعض"[٥].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (١١٧/٣)، (س و ق).

(٢) أساس البلاغة للزمخشري (٤٨٤/١)، (س و ق).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (١٤٩٩/٤)، (س و ق).

(٤) اختلفت الآراء بين الترادف وعدمه، ينظر: السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبد الفتاح محمود، رسالة دكتوراه، الأردن، جامعة اليرموك، تفسير وعلوم القرآن، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، (١٥).

(٥) دلائل الإعجاز، الجرجاني، (٣٩٢).

فيما يرى البعض أنه قد يلتبس مصطلح السياق بمصطلح المقام، وهو ما شاع عند العرب قديمًا في الدراسات البلاغية، في حين شاع عند المحدثين الغرب خصوصًا مصطلح السياق، وقد أشار تمام حسان إلى هذا الفرق، فهو يرى أن الاختلاف بين المصطلحين يكمن في معرفة ما تنطوي عليه الثقافة، بقوله: "لقد فهم البلاغيون المقام أو مقتضى الحال، فهمًا سكونيًا قالبيًا نمطيًا مجردًا، ثم قالوا: «لكل مقام مقال...»، فهذه المقامات نماذج مجردة، وأطر عامة، وأحوال ساكنة...، وبهذا يصبح المقام عند البلاغيين سكونيًا (Static) فالذي أقصده بالمقام ليس إطارًا ولا قالبًا، وإنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءًا منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه، وغير ذلك مما له اتصال بالمتكلم (Speech event) وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كل عملية اتصال...، وعلى الرغم من هذا الفارق بين فهمي وفهم البلاغيين للمصطلح الواحد، أجد لفظ المقام أصلح ما أعبر به عما أفهمه من المصطلح الحديث (Context of situation) الذي يستعمله المحدثون" [1] ويدل نصه كذلك على أنه يفضل استعمال مصطلح المقام.

وقد يسمى بالظروف[2]، وقد يسمى بـ(القرينة الحالية)[3]، ويرى صاحب استراتيجيات الخطاب أن مصطلح السياق هو المصطلح الأنسب؛ لدلالته على الممارسة المتصلة للفعل اللغوي الذي يتجاوز مجرد التلفظ بالخطاب، بدءًا من لحظة إعمال الذهن للتفكير في إنتاجه، بما يضمن تحقيق مناسبته التداولية[4].

وأشار إليه ابن الأنباري بقوله: "أن كلام العرب يصحح بعضه بعضًا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه"[5].

وقد تولد اهتمام اللغويين المحدثين من العرب بدراسة السياق بعد تأثرهم بنظرية فيرث السياقية؛ لأنهم تلقوا هذا العلم على يديه بشكل مباشر أو غير مباشر مثل: تمام حسان، وكمال بشر، فهو عند تمام حسان "المكان

(١) الأصول، تمام حسان، (٣٠٣-٣٠٤).

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٤١)

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، (٢٨٨).

(٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٤١).

(٥) الأضداد، ابن الأنباري، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل، المكتبة العصرية، لبنان، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م، (٢).

الطبيعي لبيان المعاني الوظيفية للكلمات؛ فإذا اتضحت وظيفة الكلمة، فقد اتضح مكانها في هيكل الأقسام التي تنقسم الكلمات إليها"[١].

والسياق كأي نظرية قد يلاقي قبولًا أو عدمه، فهناك لغويون يستبعدون السياق؛ "لوجود مصاعب في الربط بين المفهوم وما يشير إليه في العالم الواقعي أو العالم غير اللغوي "[٢]، وقد رد بالمر على كل من رفض السياق بقوله:" من السهل أن نسخر من النظريات السياقية وأن نرفضها باعتبارها غير عملية، لكن من الصعب أن نرى كيف يمكننا أن نرفضها دون إنكار الحقيقة الواضحة التي تقول بأن معنى الكلمات والجمل يرتبط بعالم التطبيق"[٣].

فيما يعيد تمام حسان تعريفه للسياق في كتابه اجتهادات لغوية، بالنظر له من ناحيتين:

الناحية الأولى: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى (سياق النص). الناحية الثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية يسمى السياق (سياق الموقف) [٤].

ويعرفه اللغوي المغربي بودرع بإطار نموذجي على أنه: إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بوساطته الجُمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ، كما أنه الصورة الكلية التي تنظم الصور الجزئية، ولا يفهم كل جزء إلا في موقعه من الكل[٥].

ولم يغب السياق عن النحاة القدامى وعلماء البيان، وقد تحدثوا عنه بطريقتين: "حدثوا عنه بعبارات عامة من قبيل المقام وشهادة الحال، وحدثوا عنه على باب التمثيل في تلك السياقات بمثل قولهم كأن تكون، وكأن يكون المخاطب"[١].

---

(١) مناهج البحث في اللغة والأدب، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، (١٩٩-٢٠٠).

(٢) الدلالة والنحو، صلاح الدين صالح حسنين، (٣٥)

(٣) علم الدلالة إطار جديد، بالمر، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م، (٨٠)

(٤) ينظر: اجتهادات لغوية، تمام حسان، (٢٣٧).

(٥) ينظر: النص القرآني ومنهج السياق، عبد الرحمن بو دراع، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية، ٢٠١٤م، (٢)

ومفهوم السياق عند المفسرين ذهب إلى منظورين:

-منهم من عرفه ضمن حدود السابق واللاحق:

منها تعريفهم له بأنه "بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها وما بعدها"[٢].

وكذلك تعريفهم "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"[٣].

-ومنهم من عرفه تعريفًا شاملًا:

كتعريف الزركشي له بأنه"مراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام"[٤].

ومنها تعريفهم له بأنه "ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية، لها أثر في فهمه من سابق أو لاحق به، أو حال المخاطِب، والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه"[٥].

وكذلك تعريفه بأنه "المعنى الذي يسلك جميع النص القرآني بما لا يتناقض مع ما ثبت تعلقه به من قرائن وأحوال معتبرة"[٦].

وعده السيوطي من الشروط الواجبة على المفسر بقوله: "وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام وأن يؤاخي بين المفردات"[٧].

---

(١) أصول تحليل الخطاب، مُحَمَّد الشاوش، (١٦٣).

(٢) دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي –دراسة موضوعية تحليلية–، أحمد لافي المطيري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الدراسات العليا، الأردن، ٢٠٠٧م، (١٤).

(٣) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبد الفتاح محمود، (١٤).

(٤) البرهان، الزركشي، (٢٢٧/٤)

(٥)السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، سعد بن مُحَمَّد بن سعد الشهراني، كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ، (٢٩).

(٦) الترجيح بين دلالة السياق وسبب النزول، مُحَمَّد أبو زيد، مجلة جامعة دمشق، المجلد: ٢٨، العدد: ٣+٤–٢٠١٢م، (١٥).

(٧) الإتقان، السيوطي، (٢٢٧/٤)

وهو عند الشافعي "وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله"[1] ويعني به السياق اللغوي سياق النص، ويعد الشافعي أول واضع لمصطلح السياق بمفهومه اللغوي.

وقد لخص تمام حسان أكثر الشروط التي تصب في السياق والمقام- وقد ذكرنا سابقًا أنه يفضل مصطلح المقام- المحيط بالنص القرآني التي لا بد للمفسر من الوعي بها[2] وهي:

- ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعض.
- ألا يغفل عن السنة في تفسره.
- أن يعرف أسباب النزول.
- أن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب.

واختصر هذه الشروط في كلمة (المقام) بقوله: "لا ينبغي لمن يتصدى لتفسير آية أن يغفل عن مقامها"[3].

مقامها"[3].

وقد ظهر اهتمام المفسرين وعلماء القرآن بالسياق منذ القدم، وتنبهوا إلى دوره البارز في التفسير وفهم النص القرآني فعدوه وسيلة من وسائل التفسير والتأويل، مثل الزمخشري في كتابه الكشاف، والزركشي في كتابه البرهان، والسيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن.

ثانيًا: السياق في الدرس اللساني الحديث:

أدرك الدارسون بأن "المعضلة الحقيقية التي تواجه اللغويين تتمثل في تركيزهم الزائد على الكلمات"[4] ومن هنا بدأت المحاولات، فظهرت فكرة السياق مع الإنثربولوجي (مالينوفسكي) الذي يرى أن استيعاب معاني المفردات

(١) الرسالة، أبو عبد الله الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ ١٩٤٠م، (٥٠).

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، (٣٤٨).

(٣) المرجع السابق.

(٤) اللغة في الثقافة والمجتمع مع تصور مبدئى لمشروع أطلس اللهجات الإجتماعية فى مصر، محمود أبو زيد، دار غريب، ٢٠٠٧م، (١٤٢)

والجمل لا يكون إلا بالرجوع إلى معاينة الوظائف التي تؤديها في السياقات الموقفية الخاصة التي تستعمل فيها[١]، ثم تطورت وتوسعت لتصبح نظرية لغوية قائمة في الدراسات اللسانية الحديثة؛ ارتبطت باللغوي فيرث (Firth) سميت بالنظرية السياقية.

وتعد نظرية السياق هي حجر الأساس في المدرسة اللغوية الاجتماعية التي أسسها فيرث (Firth) في بريطانيا، والتي وسع فيها نظريته اللغوية بمعالجة جميع الظروف اللغوية لتحديد المعنى، ومن ثم حاول إثبات صدق المقولة بأن "المعنى وظيفة السياق" [٢] فقد عرفت مدرسة لندن بالمنهج السياقي الذي وضع تأكيدًا كبيرًا على الوظيفة الاجتماعية للغة[٣]، وعلى الرغم من وجود العديد من المناهج اللغوية الغربية المختلفة لدراسة المعنى إلا أنها لم تستطع أن تقدم السياق بالمفهوم الذي تحدد على يد فيرث وأصبح نظرية دلالية متكاملة .

وقد اعترف فيرث بأنه مدين لمالينوفسكي ولكنه شعر أن سياق الحال عنده لم يكن مناسبًا لمدخل لغوي مضبوط ومحكم ....."سياق الحالة بالنسبة إلى مالينوفسكي جزء من العملية الاجتماعية التي اعتبرها مستقلة عن سلسلة منتظمة من الأحداث (وهي مجموعة الأحداث الواقعية والقابلة للملاحظة) وفضل فيرث أن ينظر إلى سياق الحال على أنه جزء من أداة اللغوي مثل المقولات النحوية.. فيرى أن السياق جزءٌ من أدوات اللساني أو أنه أحد جوانب الوصف الفني، والنحو تكنيك آخر له مستوى مختلف ولكن له نفس الطبيعة التجريدية، وكانت اللسانيات بالنسبة له نوعًا من تسلسل الأساليب التي تتعاون كلها لتحديد المعنى"[٤].

---

(١) اللسانيات النشأة والتطور،أحمد مؤمن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م، (١٧٨).

(٢) دلالة السياق وأثرها في الأساليب العربية، دردير مُحَمَّد أبو السعود، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، عدد ٧، ١٤٠٧هـ، نقلاً عن: أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى، مُحَمَّد سالم صالح، الشاملة الذهبية (٣).

(٣) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، ١٩٨٦م.

(٤) ينظر: علم الدلالة بالمر (٧٧).

وحينما بدأت التداولية "تدرس المعنى في ضوء الموقف الكلامي"[١]، رد الاعتبار لسياق الحال/ الموقف بدراسته في إطار الموقف الكلامي المتكون من المتخاطبين وسياق الكلام والهدف من الكلام، وتدرس الظواهر (الإحالة والاقتضاء والمعلومات الإخبارية داخل الكلام وأفعال الكلام والاستلزام الحواري)[٢].

ولفظ السياق يستعمل مقابلًا للمصطلح الإنجليزي (context) الذي عرفه كونرد (Conrad) بأنه: "المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواءٌ أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية"[٣].

ويقول بروس أنغام أن "السياق يعني واحدًا من اثنين: أولًا: السياق اللغوي وهو ما يسبق الكلمة، وما يليها من كلمات أخرى، وثانيًا: السياق غير اللغوي: أي الظروف الخارجية عن اللغة التي يرد فيها الكلام"[٤]، إذًا السياق لديهم هو المحيط الداخلي والخارجي للوحدة اللغوية.

ويعد السياق من أهم مبادئ التماسك الدلالي لدى براون ويول؛ لأنه يؤدي دورًا فعالًا في تأويل الخطاب، ويرى هايمس أنه ذو دور مزدوج؛ لأنه يحصر التأويلات الممكنة ويدعم التأويل المقصود[٥].

وقد شبه جون لاينز علاقات السياق بنسيج العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد يمثل كل خيط فيه إحدى هذه العلاقات وتمثل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة وأنه يستحيل إعطاء معنى كلمة دون وضعها في نص[٦] فيما صرح جون لاينز في نهاية المطاف بأنه "لا يمكن إعطاء جواب بسيط عن السؤال: ما السياق؟"[٧].

---

(١) الدلالة والنحو، صلاح الدين صالح حسنين، (١٩٠).

(٢) المرجع السابق، (١٩٢).

(٣) دلالة السياق، ردة الله الطلحي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ، (٥١).

(٤) المرجع السابق.

(٥) ينظر: لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٥٢).

(٦) ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، (٢٢٢)

(٧) اللغة والمعنى والسياق، (٢٤٢)، وعلى الرغم من أنه ألف الكتاب بمسمى (اللغة والمعنى والسياق) إلا أنه لم يحدد مفهومًا واضحًا للسياق.

وفرق ديبوجراند بين مصطلحين: (context) ويتضمن الدلالات الخارجية، وإنتاج النصوص واستقبالها، و(co-text) الذي يتضمن فيها مكونات قواعد ونحوية ودلالات داخلية وصرف وأصوات[١] .

ويرى دي سوسير أن السياق هو الذي يكسب الوحدة اللغوية قيمتها فيقول: "إن الكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق وما هو لاحق بها أو لكليهما معًا"[٢]، وأشار كذلك بيير جيرو إلى أهمية السياق، وأنه هو الذي يعطي الوحدة اللغوية المعنى، فيقول: "لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة لأن الكلمة تنهل معناها من السياق الذي ترتبط به"[٣]، وهذا ما أشار إليه فندريس كذلك "السياق أيضًا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية"[٤].

وأشار براون ويول إلى دور السياق في عملية الفهم بقولهم: " ومن الوحدات اللغوية التي تتطلب أكثر من غيرها معلومات عن السياق ليتيسر لنا فهمها نورد الأدوات الإشارية مثل: «هنا، الآن، وأنا، وأنت، وهذا...». فإذا أردنا أن نفهم مدلول هذه الوحدات إذا ما وردت في مقطع خطابي استوجب ذلك منا معرفة هوية المتكلم والمتلقي والإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي"[٥]، فلا يمكن استبعاد السياق عن الدراسات الدلالية النصية، خلافًا لما ذهب إليه بعض اللسانين بعذر الصعوبة العلمية والنظرية البالغة التعقيد في السياق، متناسين أنه لا يمكن معرفة معنى اللفظ بعزله عن السياق، فإن الحروف وبعض الكلمات ليس لها معنى خارج السياق[٦].

---

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء، تمام حسان، (٩١) الهامش.

(٢) دروس في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير، تعريب: صالح الفرمادي ومحمد الشاوش، ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥م، (١٨٦).

(٣) ينظر: علم الدلالة، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، (٥٦).

(٤) اللغة، فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤م، (٢٣١).

(٥) تحليل الخطاب، الزليطني والتريكي، (٣٥).

(٦) ينظر: علم الدلالة بالمر (٥٧).

ولعل سبب تعدد التقسيمات في السياق يعود للأقوال السابقة وكذلك قول جون لاينز أنه: " لا يمكن فهم أية كلمة على نحو تام بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها والتي تحدد معناها، فمعنى الكلمة يتعدد تبعًا لتعدد السياق الذي وقعت فيه، وما زال البحث في السياق يتطور ويضم ما لم يكن يضمه في ملامحه الأولى.

وتتمثل أهمية النص بالسياق بأنهما يملكان علاقة تلازم، حيث يقول جون لاينز: "إن النص ومحتوياته إنما هما أمران متكاملان، فكلاهما يعضد الآخر ويقويه، ومن ثم فإن النصوص تعد مكونات للسياقات التي تظهر فيها، أما السياقات فيتم تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون والكتاب في مواقف معينة"[١]، وهذا ما ذهب إليه براون ويول أيضًا بقولهم: "إن النص يخلقُ سياقه الخاص به"[٢].

وهذا ما خلص إليه هاليداي ورقية حسن بالقول إن مصطلح السياق مع النص هما مظهران للعملية نفسها، فهناك نص، وهناك نص آخر مصاحب له وهو السياق، وتشمل فكرة ما يصاحب النص أشياء كثيرة، لغوية وغير لغوية، في البيئة العامة التي يظهر فيها النص[٣]، ويذهب هاليداي إلى أن النص هو اللغة التي تخدم غرضًا في إطار سياق ما، وعلى الرغم من أن النص يظهر في شكل كلمات أو جملٍ، فإنه في الحقيقة نظام من المعاني تمت برمجتها في نظام الشفرة اللغوية من أجل استنطاقها لكشف المعاني الداخلة فيها[٤].

ويقترح الشاوش صياغة للعلاقة بين النص والسياق بقوله "يتكفل نص الخطاب بما غاب في السياق المادي، والعكس صحيح: فالسياق يتكفل بما غاب من نص الخطاب، ويتم التواصل متى حدث توازن بين السياق ونص الخطاب"[٥].

فيما يذهب مُحَمَّد خطابي إلى أنه يمكن فصل النص عن سياقه بقوله: "الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه...، إذ كثير ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية من حيث لغته،

---

(١) ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، (٢١٥).

(٢) تحليل الخطاب، الزليطني والتريكي، (٦٠).

(٣) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل مُحَمَّد، (٨).

(٤) ينظر: علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض، (٣١).

(٥) أصول تحليل الخطاب، مُحَمَّد الشاوش، (١٦٧).

ولكنه قد يتضمن قرائن (ضمائر أو ظروف) تجعله غامضًا غير مفهوم دون الإحاطة بسياقه، ومن ثم فإن للسياق دورًا فعالًا في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس"[١] وهذا منافٍ لما تقبله النصية.

وفي مقابل السياق في علوم اللغة يظهر ما يعرف بالمناسبة في علوم القرآن، فيما يصب كلاهما في هدف واحد وهو إعطاء الوحدة اللغوية قيمة، "ويعد الفرق بين السياق والمناسبة فرق اصطلاحي، حيث إن وظيفة المناسبات تكمن في الكشف عن وجوه الربط بين الآيات والمقاطع التي لا تظهر أوجه ارتباطها بما قبلها وما بعدها، ولا يتم الربط إلا بمعرفة معاني الآيات السابقة واللاحقة، وهذه هي وظيفة السياق"[٢]، فالسياق يخدم المناسبة، ولا تكتمل المناسبة إلا بمعرفة سياق النص القرآني.

ومن المفسرين الذين تبنوا منهج المناسبة في كتبهم: أبو حيان في كتابه البحر المحيط، والبقاعي في كتابه نظم الدرر في تناسب الآي والسور.

ويظهر للباحثة أن المناسبة إنما تقوم على أجزاء الوحدة الموضوعية القريبة، كما بين الآية وسابقتها ولاحقتها، وما تقدم السورة أو تأخر عنها، بينما ترى أن السياق هو الذي يخدم النص القرآني كاملًا كما في القصص القرآنية الموزعة على أكثر من سورة لذلك آثرت الباحثة الحديث عن السياق وليس المناسبة.

ثالثًا: أنواع السياق[٣]:

قد أشرت سابقًا إلى أن السياق ينتمي إلى مجالات عدة، فقد أثر ذلك على تقسيمات السياق تبعًا للمجال الذي تتمي إليه.

فقد وصل تقسيم السياق لدى بريت إلى خمسة أقسام[٤] هي: سياق القرائن (Co-text as context) وهذا ما يسمى بنحو النص، والسياق الوجودي (Existential context)، والسياق المقامي

(١) لسانيات النص، مُحَمَّد الخطابي، (٥٦).

(٢) ينظر: السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبد الفتاح محمود، (١٨).

(٣) أطلق عليها أحمد مختار شعب السياق، ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٨م، (٦٩).

(٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٤٢).

(Situational context)، وسياق الفعل(Actional context)، والسياق النفسي (Psychological context).

وبشكل عام وتبعًا للتعاريف التي عرضتها ينقسم السياق إلى نوعيين رئيسين:

النوع الأول: السياق الداخلي (السياق اللغوي(Linguistic Context) أو سياق النص (Verbal context)):

وهي الأجزاء التي يستعين بها القارئ لفهم المراد من النص، أي في حدود النص المقروء، دون البحث خارج النص، ويمكن أن يعد أول معنى يسبق لذهن القارئ، أي التفسير الذهني الأول، فهي "تلك الأجزاء من الخطاب التي تحف بالكلمة في المقطع وتساعد في الكشف عن معناها"[١].

وعرف كذلك بأنه: "المستفاد من عناصر مقالية داخل النص"[٢]، وعُرف كذلك بأنه "هو ما لا يتضح معنى الكلمة إلا بالنظر في سابقه أو لاحقه، أو بهما جميعًا"[٣]، وهذا التعريف من المنظور الذي يقوم به هذا النوع من السياق.

ومن السياق اللغوي ما يسمي "المصاحبات اللفظية" أو "التلازم اللفظي"، ويعبر عنه مُحَمَّد الخطابي بالتضام[٤] (Collocation)، ويعرفه فيرث بأنه "الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما، بكلمات أخرى معينه"[٥]، وكان فيرث يشير إلى المصاحبة على أنها المنهاج الأكثر إفادة، ويشير أحيانًا إلى مستوى المصاحبة، ويرى لاينز أن مصطلح تصاحبي من المفترض أن يكون معادلًا للمصطلح معجمي[٦]، ويذهب هاليدالي ورقية إلا إن العلاقة بين

(١) المرجع السابق، (٤٠).

(٢) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث –دراسة تحليله للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق–، عبد الفتاح البركاوي، ١٩٩١م، (٣٠).

(٣) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، سعد بن مُحَمَّد بن سعد الشهراني، (٢٥)

(٤) ينظر: لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٤).

(٥) العربية وعلم اللغة الحديث، مُحَمَّد مُحَمَّد داود، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م، (١٩٨).

(٦) ينظر: المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، مُحَمَّد مُحَمَّد يونس علي، (١٢٢).

بين العناصر "علاقة تعارض لكل الجزء، الجزء الجزء، أو عناصر من نفس القسم العام"[١]، والقارئ يخلق لهذه الدلالة سياق تترابط فيه "معتمدًا على حسه اللغوي وعلى معرفته بمعاني الكلمات"[٢]، كما في التلازم بين مريم وعيسى عليهم السلام، والتلازم بين المس والغلام، فلا يمكن أن يكون هنالك غلام بدون النكاح المكني في القصة بالمس، وكذلك المصاحبة بين «كلما» والفعل الماضي (دخل) بعدها كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ (آل عمران:٣٧)، فهو شرط في كلما أن الفعل بعدها ماضي.

ويقوم السياق الداخلي على دعامتين:

الدعامة الأولى: السباق:

تعريفه لغة : قال ابن فارس: "السين والباء، والقاف: أصل واحد صحيح يدل على التقديم"[٣]، وقال الفيروزآبادي: "سبقهُ يَسبِقُهُ: تقدَّمه"[٤].

اصطلاحًا: ما سبق من الكلام وتوقف فهم معنى ما بعده عليه [٥].

كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾(مريم)، " لم يصرح جل وعلا في هذه الآية الكريمة ببيان الشيء الذي أمرها أن تأكل منه، والشيء الذي أمرها أن تشرب منه، ولكنه أشار إلى أن الذي أمرها أن تأكل منه هو: (الرطب الجني) المذكور، والذي أمرها أن تشرب منه هو النهر المذكور المعبر عنه (بالسري) كما تقدم، هذا هو الظاهر"[٦]، فساعد فساعد بذلك السياق السابق في بيان المقصود في الآية.

---

(١) ينظر: لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٢٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، (١٢٩/٣)، (س ب ق).

(٤) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسوسي، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م،(٨٩٢/١)، (س ب ق).

(٥) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة سعد بن مُحَمَّد بن سعد الشهراني (٢٤)

(٦)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين الشنقيطي، (٣٩٧/٣).

الدعامة الثانية: اللحاق:

تعريفه لغة: قال ابن فارس: اللام والحاء، والقاف، أصل يدل على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره يقال: لحق فلان فلانًا فهو لاحق، وربما قالوا: لحقتُه: اتبعته [1].

كما سياق الاعتذار في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾ (آل عمران: ٣٦) "إن قلت: ما فائدة ذكره مع أنه معلوم؟ قلت: فائدته اعتذارها عما قالته ظنًا، فإنها ظنت ما في بطنها ذكرًا، فنذرت أن تجعله خادمًا لبيت المقدس، وكان من شريعتهم صحة هذا النذر في الذكور خاصة، فلما خاب ظنها استحيت حيث لم يقبل نذرها فقالت ذلك، معتذرة أنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من خدمة المسجد، فمن الله عليها بتخصيص " مريم " بقبولها في النذر، دون غيرها من الإناث فقال: ﴿فتقبَّلها ربُّها بقبولٍ حَسَنٍ﴾ (آل عمران:٣٧) "[2]، فالذي أكد أن مقصد زوجة عمران من قولها ليس الذكر كل الأنثى هو السياق اللاحق لسياق الاعتذار الذي كان في قبول الله عز وجل لهذا الاعتذار بقبول مريم عليها السلام.

والسياق الداخلي في المجال القرآني أربعة أقسام، كما ذكر الباحث عبد الوهاب الحارثي: أن "السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليه، بمعنى أن هناك سياقًا للآية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى"[3].

السياق الداخلي في النص القرآني:

١-سياق القرآن بكاملة:

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥/٢٣٨)، (ل ح ق).

(٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، أبي يحيى الأنصاري، تحقيق: مُحَمَّد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، (١/٨٤).

(٣) دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب الحارثي، (٨٨)، نقلًا عن: السياق القرآني وأثره في التفسير –دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور–، مُحَمَّد عبد الوهاب الراسخ، (١٤٣).

أ. وهو مراد الله عز وجل من القرآن الكريم، وبين ابن عاشور ذلك في التحرير والتنوير بقوله: " فمراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين"[١].

ب. ما وضعه العلماء بقواعد تفسير القرآن بالقرآن، وهذا المستوى يوضح ارتباط الآيات مع بعضها البعض وتماسكها في موضوع واحد "حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"[٢]

كما في تفسير معنى قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ (آل عمران:٤٢) فالمراد بالملائكة هو جبريل عليه الصلاة والسلام كما في سورة مريم[٣] لأن الحوار كان بينها وبين جبريل عليه السلام، "ويؤكد ذلك النظر في السياق اللغوي كاملًا الذي وردت فيه قصة مريم في سور القرآن، إذ يدل السياق على أن المتكلم مع مريم عليها السلام هو جبريل عليه السلام، وذلك من خلال[٤] قوله تعالى:﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ (مريم:١٧)، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِا مِنْ رُوحِنَا﴾ (الأنبياء:٩١)، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ (التحريم:١٢)،فالمقصود بالروح في القصة هو جبريل عليه السلام، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (الشعراء: ١٩٣)،"وإضافته إلى الله إضافة تشريف وتكريم" [٥].

وكذلك في تفسير معنى السري في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾(مريم:٢٤)، أنه النهر:" والدليل على ذلك: القرينة من القرآن، فقوله تعالى: فكلي واشربي، قرينة على أن ذلك المأكول والمشروب هو ما تقدم الامتنان به في قوله: ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾، ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ وكذلك قوله تعالى:﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾؛ لأن المعين الماء الجاري، والظاهر أنه الجدول المعبر عنه بالسري في هذه الآية، والله تعالى أعلم"[٦].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٩/١).

(٢) البرهان، الزركشي، (٣٦).

(٣) نظم الدرر للبقاعي، (٣٧١/٤).

(٤) التفسير الكبير، الرازي، (٤٦/٨).

(٥) أضواء البيان، الشنقيطي، (٣٨٦/٣).

(٦) المرجع السابق، (٣٩٦/٣).

وكذلك في النفخ والحوار الذي دار بين مريم وجبريل عليهم السلام، فلو أن القارئ يستعين به، لما علم ما المقصود بالنفخ في قوله تعالى: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِا مِنْ رُوحِنَا﴾ (الأنبياء:٩١)، وكذلك في معنى الإحصان من قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ (الأنبياء:٩١)، فقد ورد معناه في سورة مريم في الاستعاذة من البشر السوي الذي ظهر لها فالعزلة، وتمنيها الموت، وخوفها من إتيان قومها وهي تحمله.

٢-سياق السورة، فكل سورة تحتوي على موضوع عام يمثل سياقها الخاص، ومواضيع فرعية وإن شملت على سياقات خاصة إلا إنه تجتمع بشكل من الأشكال تحت سياق السورة العام، و "هو أنك تنظر للغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد"[١].

وقد تطبع السورة كلها بطابع الافتتاح وليس السياق الذي تقع فيه الآية فحسب، ومن هذا النوع من السور سورة مريم تبدأ بقوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ (مريم:٢)، "فأنت ترى أنها تبدأ بالرحمة ولا تقتصر على السياق الذي وقعت فيه الآية، بل إن السورة كلها تفيض بالرحمة، وألفاظ الرحمة تشيع فيها من أولها إلى آخرها، فقد قالت مريم لرسول ربها الذي تمثل لها بشرًا سويًا، فاستعاذت بالرحمن ليرحمها ويقيها السوء"[٢]، كما أنها نذرت للرحمن صومًا.

ومثال ذلك سياق قصة مريم عليها السلام من سورة التحريم فـ"مريم التي لا زوج لها، لا مؤمن ولا كافر فذكر ثلاثة أصناف النساء: المرأة الكافرة التي لها وصلة بالرجل الصالح، والمرأة الصالحة التي لها وصلة بالرجل الكافر، والمرأة العزبة التي لا وصلة بينها وبين أحد، فالأولى لا تنفعها وصلتها وسببها والثانية لا تضرها وصلتها وسببها، والثالثة لا يضرها عدم الصلة شيئًا، ثم في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة فإنها سيقت

(١) نظم الدرر، البقاعي، (١/١٨).

(٢) التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، الطبعة الرابعة، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، (٢٤٨-٢٤٩).

في ذكر أزواج النبي ﷺ والتحذير من تظاهرهن عليه وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ﷺ ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله ﷺ كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما"[١].

٣-سياق النص أو المقطع أو الفقرة: وهذا النوع يظهر بشكل جلي في سياق القصص كما أشرنا أن كل جزء من قصة مريم عليها السلام عرض بما يناسب السورة التي ورد فيها، وفيه يقول البقاعي: "أن كل سورة أعيدت فيها قصة ادعى في تلك السورة استدل عليها بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة؛ ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض"[٢]، وينفي السامرائي التكرار في القصة القرآنية، بقوله:"فأنت ترى أن القصة القرآنية كأنها تتكرر في أكثر من موطن، والحقيقة أنها لا تتكرر ولكن يعرض في كل موطن جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق، وبحسب ما يراد من موطن العبرة والاستشهاد"[٣]، فلذلك ينقص الخطاب في القصة الواحدة في سورة ما يستوفيه في سورة أخرى لاختلاف مخصوص منزلها[٤]، إذ كيف تكون القصة متماسكة ولا تكون السور المشتملة عليها متماسكة؟ فسورة آل عمران والتي أتت ردًا على اليهود كونه ابن الله وتناولت اصطفى الله لآل عمران ومريم عليها السلام ابنته، وتناولت ولادة أمها لها وكفالة زكريا وبشرى زكريا بيحيى ثم ولادة مريم بعيسى عليهم السلام، وسورة مريم انفردت بكونها السورة الوحيدة التي تبدأ بالرحمة وكذلك تناولت قصة زكريا ويحيى عليها السلام ثم مريم وحملها وعيسى عليهم السلام وبيان معجزات الله لها ولابنها ونفي كونه إلهًا، ثم في سورة الأنبياء وكانت في سياق ضرب الأمثال للمنكرين وذكر الأنبياء وهي أم نبي الله عيسى عليها السلام، وكذلك ذكر زكريا قبلها، وفي سورة المؤمنون جات ردًا لتكذيب اليهود للرسل.

كما اختصت قصة مريم عليها السلام بدوال خاصة بالتاء المفتوحة كـ(أمرأت) و(ابنت)، فيدخل في سياق النص.

---

(١) الأمثال في القرآن، ابن قيم الجوزية، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن مُحَمَّد، مكتبة الصحابة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م، (٥٧).

(٢) نظم الدرر، البقاعي، (١٤/١).

(٣) التعبير القرآني، السامرائي، (٢٨٣)

(٤) نظم الدرر، البقاعي، (٣٥٧/٤).

٤- سياق الآية:ويعد سياق جزئي من أصل السياق الكلي أو العام للسورة التي وردت فيها، وهو سياق في حدود الآية أو الآيات السابقة أو اللاحقة لها.

ويقوم السياق بحل الإشكال الواقع من سوء التأويل كما أشار صاحب الحدائق بقوله: "وفي المقام إشكال قوي لم أرَ من نبَّه عليه من المفسرين، وحاصله: أن قوله: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ﴾ (آل عمران:٣٦)، معطوف على ما قبله، الواقع حيزًا لما وضعتها، فيقتضي أن طلب هذه الاستعاذة إنما وقع بعد الوضع، فلا يترتب عليه حفظ مريم من طعن الشيطان وقت نزولها وخروجها من بطن أمها، فلا يتلاقى الحديث مع الآية، بل مقتضى ظاهر الآية: أن إعاذتها من الشيطان الرجيم إنما كان بعد وضعها، وهذا لا ينافي تسلُّط الشيطان عليها بطعنها ونخسها وقت ولادتها الذي هو عادته، فإن عادته طعن المولود وقت خروجه من بطن أمه، تأمل، قلت: الجواب أنه استعمل المضارع بمعنى الماضي بقرينة السياق، فكأنه قال: وإني أعذتها بك وذريتها، والله أعلم"[١].

وكذلك التقديم بين مريم وابنها في السياق، "فإن قلت: لمَ قدم عيسى هنا على أمه حيث قال: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ﴾(المؤمنون:٥٠) وقدمها على عيسى في سورة الأنبياء حيث قال: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩١)،قلت: قدمه هنا نظرًا لأصالته فيما ذكر، من ولادته من غير أب، وقدمها هناك نظرًا لأصالتها فيما نسب إليها، من الإحصان والنفخ"[٢] فالتقديم نسبةً للسياق السابق.

وكذلك اختيار لفظة يخلق في قصة مريم عليها السلام ويفعل في قصة زكريا عليه السلام، مع اشتراكهما في بشارتهما بولد؛ "والسر في ذلك أن خلق ولد من شيخ كبير وامرأة عقيم، مستبعد في العادة؛ لأن العقم والشيخوخة سبب مانع من الولد، لكنه غير مستحيل لوجود الأبوين، فناسبه ذكر الفعل، أما في قصة عيسى فإن خلقه له من غير أب إيجاد واختراع، وهو في العادة مستحيل فناسب ذكر الخلق لأن الله لا يعجزه شيء"[٣].

---

(١) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مُحَمَّد الأمين الشافعي، إشراف ومراجعة: هاشم مُحَمَّد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م (٢٧٩/٤).

(٢) حدائق الروح والريحان، الشافعي، (٧٨/١٩).

(٣) قبس من نور القرآن الكريم –دراسة تحليلية موسعة بأهداف ومقاصد السور الكريمة- مُحَمَّد علي الصابوني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م (١٢٥/١).

وكذلك في وصف عيسى عليه السلام في القصة بالغلام تارة والولد تارة أخرى، ففي سورة آل عمران﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ (٤٧)، وفي سورة مريم ﴿لِي غُلَامٌ﴾ (٢٠)، ""لأن ذكر المسيح تقدَّم هنا وهو ولدها، وفي مريم تقدَّم ذكرُ الغلام"[١] وهذا ما يدل على أن السياق يسير متأثرًا بما حوله.

النوع الثاني: السياق الخارجي (السياق غير اللغوي (The non-linguistic Context) أو سياق الموقف (Context of Situation):

ويعني تلك الأدوات الخارجة عن النص، والتي يستعين بها القارئ لفهم المراد من النص، مما يحيط بالنص من ظروف يكون لها الأثر في فهمه، كحال المخَاطَب، المخاطِب، ومكان وزمان ورود النص، والغرض الذي سيق له، وقد يرتبط السياقان ببعضهما البعض، فـ "غالبًا ما يكون السياق اللغوي هو المحيل إلى سياق الموقف فيما يسمى بالإحالة الخارجية"[٢]، فيتضافران معًا للكشف عن المعنى الذي سيقت من أجله الوحدة اللغوية.

وعُرف السياق الخارجي بأنه:"ما يمثل الظروف والملابسات والمواقف التي تم فيها الحدث اللغوي وتتصل به"[٣]، فهو بذلك يضم أنواع من سياقات مثل: السياق العاطفي-النفسي-، والسياق الثقافي.

ذكر هاليداي ورقية حسن أن فكرة مفهوم السياق المقامي (Context of situation) "بدأت مع Mslinowski سنة ١٩٢٣ في تكملته لكتاب (Ogden and Richards) (معنى المعنى) ثم كانت صيغة فيرث ١٩٥٠ في مقال عنوانه (Personality and language in society) وزاد عدد من الدارسين هذا المفهوم تفصيلًا"[٤].

من أنواعه سأتحدث عن السياق العاطفي والثقافي، فالسياق العاطفي كونه يتحكم في مشاعر القارئ فيتماسك النص في قلبه وعقله في آن واحد، فهو"يقود إلى دمج الحالات الذهنية والنفسية في نظرية تداولية

---

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، أبي يحيى الأنصاري، (٨٧/١).

(٢) معايير النصية، (٤١٢)، نقلًا عن: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٠٦).

(٣) العربية وعلم اللغة الحديث، مُحَمَّد مُحَمَّد داود، (١٩٩).

(٤) أصول تحليل الخطاب، مُحَمَّد الشاوش، (١٦٠).

اللغة، لتصبح المقاصد والرغبات حالات ذهنية مسؤولة عن برنامج الفعل والتفاعل"[1]، ويعد مفتاح الولوج لشخصية صاحبه، فيتعمد صاحبها في عرضها على الحوار مرة وعلى الحركة مرة وعلى الوصف.

فالسياق وحده هو الذي "يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف، أو أنها قصد بها التعبير عن العواطف والانفعالات"[2]، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (مريم:٢٠)، فحذف النون في (أك) ناسب السياق النفسي لمريم عليها السلام، فحالتها النفسية كانت في مفاجآت متتالية فناسب قصر وسرعة تحدثها، فقد "نسيت مريم من فرحة المفاجأة أن أم المسيح المبشر بها ستكون عذراء، وغلبت عليها الفطرة البشرية من أن الولد لا يكون إلا من ذكر وأنثى، فكيف إذًا لم يمسسها بشر، وهي فتاة طاهرة"[3]وطريقة عرض السياق النفسي هنا هي عن طريق الحوار، ومن خصائص المشهد الحواري " أننا فيه نجد التحام الزمن القصصي بالزمن السردي، ويصير حاضر السرد هو حاضر الأحداث فيتحول المتلقي إلى مشاهد يعاين الوقائع بنفسه وينفعل بها"[4]، فيصبح أقرب للقارئ في نفسه.

والسياق العاطفي هو "الانفعالية المرتبطة بمستوى القوة والضعف والتفاعل والتأكيد والمبالغة، والذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالته الموضوعية التي العموم ودلالته العاطفية" التي تفيد الخصوص "فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدًا أو مبالغةً أو اعتدالًا"[5]، فهو بذلك يدعم غرض النص.

وكذلك مشهد انفعال الخوف عند مريم عليها السلام: يبدأ هذا المشهد من قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ ﴾(مريم: ١٨)، خوف مريم من الروح، ويمكن أن يدخل فيه ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (مريم:٢٢)، وكذلك في قوله تعالى في تمنيها الموت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ (مريم:٢٣)، فلم يكفي استعاذتها من الخوف ولا انتباذها مكانًا قصيًا خوفًا من قومها، بل تمنت الموت من شدة خجلها وخوفها

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٤٤).

(٢) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، (٥٨).

(٣) نظرات في أحسن القصص، مُحَمَّد الوكيل، (٢/٢٩٧-٢٩٨)، نقلًا عن الشخصية في القصص القرآني –دراسة نصية نقدية تحليلية لشخوص مختاره–، خالد سليمان عيد الدولات، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٦م، (١٠٦).

(٤) بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، مُحَمَّد مشرف خضر، رسالة دكتوراه، جامعة طنطا، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، (١١٧).

(٥) علم الدلالة، أحمد مختار، (٧٠).

فناسب كذلك تطمينها في قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي﴾ (مريم:٢٤)، فيكون اعتراها الخوف ثلاث مرات في هذا المشهد، فكانت هناك حركة فاعلية من حوار إلى محاولة هرب وتهميش للذات بتمني الموت، ثم يتغير سلوكها إلى إشارة من خلال إشارتها للطفل.

فلم يغفل العلماء عن المنهج السياقي وتعلقه بالواقع النفسي، حيث إن المنهج السياقي يعود فيرسم له صورة نفسية غير مفارقة للنص فـ"إن الألفاظ أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب للفظ لادال عليه أن يكون مثله أولا في النطق"[١]، و "لقد تفاعلت الجوانب النفسية لدى مريم عليها السلام والمتمثلة بالخوف والتردد ومحاولة التهرب والخوف من المواجهة مع الجوانب المادية الملموسة، مثل الحمل، جذع النخلة، وعملية الولادة، وتكلم عيسى، لتشكل نسقًا (نفسيًا وروحيًا)"[٢].

وكما أن الألفاظ في السياق النفسي تحمل إيقاع يتصل بالقلوب والنفوس ويتلون حسب الموقف، فيصبح الإيقاع موحيًا بالمعنى، ومن ذلك قول ابن جني: "إن كثيرًا من هذه اللغة وجدته مضاهيًا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها"[٣]، وقد عبر أولمان عن الدلالة التي يوحي بها الجرس على المعنى المخفي موحية بمقدار شدة التأثر بالباحث الصوتي: "وقد تؤدي شدة التأثر بالباعث الصوتي على توليد الكلمات أو الأصوات إلى ما يكاد يكون اعتقادًا غامضًا في وجود مطابقة خفية بين الصوت والمعنى"[٤].

يدخل في السياق النفسي خصوصية الأداء وهي الترتيل القرآني وهو في لسان العرب: " رتل: الرتل: حسن تناسق الشيء، والترتيل في القراءة: الترسل فيها والتبيين من غير بغي "[٥]، وهي ضرب موسع من التماسك النصي،

(١) دلائل الإعجاز، الجرجاني، (٥٢).

(٢) الشخصية في القصص القرآني –دراسة نصية نقدية تحليلية لشخوص مختاره–، خالد سليمان عيد الدولات،(١٠٩).

(٣) الخصائص، ابن جني، (٦٦/١).

(٤) دور الكلمة في اللغة، أولمان، (٨١).

(٥) لسان العرب، ابن منظور، (٢٦٥/١١)، (ر ت ل).

النصي، فيربط بين المتلقي والنص بانشغال "قلبه في التفكر في معنى ما يلفظ بلسانه فيعرف من كل آية معناها ولا يجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها فإذا مر به آية رحمة وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منها"[1].

السياق الثقافي: وهو سياق يقوم بتحديده الواقع الاجتماعي، الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، ويعد ركيزة في عملية الترجمة.

ومن أهم ما يمثل السياق الثقافي في قصة مريم عليها السلام، تسمية مريم عليها السلام بهذا الاسم فمريم في لغتهم العابدة، " فيه إشعار بأن من جاء بشيء أو قربه فحقه أن يجعل له اسمًا، فيكون إبداؤها لها وضع عين وإظهار اسم، لما في وجود الاسم من كمال الوجود في السمع كما هو في العين، ليقع التقرب والنذر بما هو كامل الوجود عينًا واسمًا"[2]، فناسب ذلك ما نُذرت لأجله قبل ولادتها، وناسب إعاذتها وذريتها من الشيطان الرجيم في سياقٍ لاحق.

وكذلك السياق في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ (آل عمران:٣٦)، وهو موقف اجتماعي، فمجتمعها كان يهتم بالذكر أكثر، فكانت الإرادة الإلهية أن تقوم مريم بواجب إنساني ديني بارز في مجتمعها"[3].

رابعًا: عناصر السياق:

يقتضي السياق "عناصر مختلفة، أولًا عنصر ذاتي،.. وهو معتقدات المتكلم فكل متكلم له اعتقادات، وله مقاصد، وله أهداف واهتمامات، ورغبات، وكلها تدخل كعنصر ذاتي لتحديد السياق، والعنصر الثاني عنصر موضوعي، وهو الوقائع الخارجية التي يتم فيها القول يعني الظروف الزمانية والمكانية، ثم العنصر الثالث العنصر

(١) البرهان، الزركشي، (١/٤٥٠).

(٢) ينظر: نظم الدرر، البقاعي، (٤/٣٥٤).

(٣) ينظر: الشخصية في القصص القرآني –دراسة نصية نقدية تحليلة لشخوص مختاره–، خالد سليمان عيد الدولات، (١٠٦).

الذواتي، يعني ما بين ذوات المتخاطبين وهو المعرفة المشتركة بين المتخاطبين اجتماعية كانت أم ثقافية أم تراثية، وقد تكتسب أثناء التخاطب"[١].

والسياق لدى براون ويول يتشكل من (المتكلم/ الكاتب، والمستمع/ القارئ، والزمان، والمكان)"[٢]،ويرى ديل هايمس (Dell Hymes) أن للسياق دورًا مزدوجًا، فعناصر السياق لديه تتمثل في(المرسل، والمتلقي، والحضور، والمقام، والقناة، والنظام، وشكل الرسالة، الطابع، المفتاح، والغرض) [٣]، وأشار هايمس إلى أن حضور جميع هذه الخصائص "ليس ضروريًا في جميع عمليات التواصل، ولكن بقدر ما يعرف المحلل أكثر ما يمكن من خصائص السياق بقدر ما يحتمل أن يكون قادرًا على التنبؤ بما يحتمل أن يقال"[٤].

١-المرسل/ المخاطِب: أهم عنصر في السياق فبدونه لا يكون هناك خطاب؛ لأنه طرف الخطاب الأول الذي يتجه به إلى الطرف الثاني ليكمل دائرة العملية الخطابية،كما أنه يتوخى ما يتناسب مع السياق العام، كما أن مقاصده وأهدافه تتنوع بتنوع بعض العناصر السياقية، مما يفرض عليه أطرًا معينة لابد أن يستجيب لها[٥]. فاللغة الطبيعية لا تمارِس دورها الحقيقي إلا من خلال (المرسل/ المخاطِب)؛ فالنص "يعبر عن فكرة صاحبه فهو يعكس مدى قدرته على البناء"[٦] ومن أجل ذلك " شك كثير من اللغويين في إمكانية دراسة الدلالة اللغوية بمعزل عن مستعملها، ويكفي أن ننظر في النظام اللغوي عن مقولات (أنا وأنت وهنا والآن) لكي نتحقق من أن علم الدلالة في جانب لا بأس به يدخل تحت تعريف البراغماتية[٧] بأنها علاقة العلامات

---

(١) ينظر: البحث اللساني والسيميائي، -الدلاليات والتداوليات أشكال الحدود-، أحمد المتوكل، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم (٦)، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، (٣٠٢).

(٢) ينظر: تحليل الخطاب، الزليطني والتريكي، (٣٥).

(٣) ينظر: تحليل الخطاب، الزليطني والتريكي (٤٨-٤٧).

(٤) لسانيات النص، محمد خطابي، (٥٣).

(٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٤٥)

(٦) الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلة نقدية، محمد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الخامسة، ١٩٩٤م، (١١-١٠).

(٧) البراغماتية: منهم من يعرفها بأنها دراسة اللغة من منظور وظيفي (تداولي)، ومنهم من عدها جزءًا في الأداء اللغوي فقط، ومنهم من يراها قاعدة كل اللسانيات، للاستزادة ينظر: المقام في العربية في ضوء البراغماتية النظرية والتطبيق، منال محمد هشام، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٤م، (٥) وما بعدها.

بمستعمليها"[١]، وحضور ذات المرسل لا تقتصر على لحظة التلفظ الخطابي فحسب، بل يظل حاضرًا في خطابه ما بقي الخطاب نفسه، مما يشي باستمرار عملية التلفظ كما هو الحال في الأوامر المكتوبة[٢].

وتظهر مهمة المرسل في" عملية اختيار الأمثلة من اللغة وانتقائها، ويخضع اختياره غالبًا لمقاصده البلاغية ... وهذا الاختيار لابد منه كي تحصل عملية الإفادة (meaningfulness) المؤسسة على مبدأ أن (المعنى يستلزم الاختيار)"[٣] "ومن أهم الخصائص التي تكون شخصية المتكلم هي: طريقة الكلام، وجنس المتكلم، والمستوى الثقافي والاجتماعي"[٤]، فكل منها تؤثر على السياق بشكل واضح،"ولا يقتصر حضور ذات المرسل المرسل على لحظة التلفظ الخطابي، بل يظل باقيًا في خطابه ما بقي الخطاب ذاته، مما يشي باستمرار عملية التلفظ"[٥].

والمرسل أو المخاطِب في القرآن هو الله عز وجل،" ويقع وجوده خارج النص في أغلب السياقات، ذلك حين لا يرد اسم من أسمائه صراحة داخل النص"[٦]، فيكون من نوع الإحالة الخارجية، "لكنه قد يأتي بالخطاب على لسان أحد الأنبياء أو الأقوام أو غيرها من شخصيات القصص القرآني، وتختلف دلالة النص تبعًا لاختلاف المخاطِب، وقد كان المفسرون يراعون حال المخاطِب؛ لأنه أحد عناصر السياق"[٧].

ولعل وحدة المخاطِب هي السبب الرئيس في شدة تماسك النص القرآني،"وعلى الرغم من توحده فهو متنوع يشمل خطابات عديدة، تختلف باختلاف المقام داخل النسيج القرآني الواحد"[٨].

ولأهمية معرفة المخاطِب في السياق القرآني حرص المفسرون على إحالة كل نص إلى قائلة، فإذا خفي استدلوا عليه بالسياق اللغوي، وقد تمت إحالة كل نص لقائلة في المبحث الأول ضمن المطلب الإحالة.

---

(١) تقديم عام للاتجاه البراغماتي، مُحَمَّد الشريف، (١٠٠)، ضمن كتاب (أهم المدارس اللسانية) المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، مارس، ١٩٨٦م، نقلًا عن: الإحالة، أنس فجال، (٢٨١).

(٢) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، (٤٧).

(٣) ينظر: المعنى وظلال المعنى، مُحَمَّد مُحَمَّد يونس علي، (١٥٣).

(٤) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٢٨٣).

(٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٤٧)

(٦) دراسات لغوية تطبيقية، بحيري، (١٠١).

(٧) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣١٠).

(٨) الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، (٩١).

٢-المتلقي/ المخاطَب: المتلقي هو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسِل خطابه، وهو الهدف في أي عملية لغوية، وتتعلق به الوظيفة الإفهامي، فيبرز أهمية المتلقي في عملية التواصل في مهمة التفكيك التي يقوم بها عند تلقيه الخطاب فيظهر الجانب التداولي من خلاله، فـ"يتعامل المتلقي مع الرسالة الخطابية بطريقته الخاصة في الفهم، مستعينًا في ذلك بثقافته وتجاربه وأحواله الخاصة التي ينفرد بها عن غيره، وقد تزداد إيجابية المتلقي، فيتجاوز مهمة التفسير والتأويل، وذلك حين يكمل النقص في الخطاب الذي يصل إليه ناقصًا بسبب ظروف سماعية أو كتابية سيئة"[١]، ومن أهم ما يجيب مراعاته في المخاطَب: درجة الانتباه، وجنس المخاطَب، والمستوى الثقافي والاجتماعي[٢].

يجعل القارئ على معرفة سابقة بالنص يخلق لديه المقبولية في النص فيحكم على النص بالقبول وهو أحد المعايير النصية التي شار إليها دي بوجراند بقوله أن القبول (ACCEPTABILITY): " يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام"[٣].

فالنصوص تظهر مفككه على السطح إلا أن القارئ يتبين أن وراءها "بنية عميقة محكمة في تماسكها تفسر تشاكل الأجزاء وتضمن اتساقها مع تشتتها الخارجي"[٤]، مما يبرز أهم مهام القارئ فيستعين بالبنية الصغرى، وهذا ما ذهب إليه هاليداي ورقية حسن "أن المتلقي حين يستجيب لمقطع منطوق أو مكتوب فإنه يستحضر بنيتين داخلية وخارجية، أما البنية الداخلية فتتمثل في اعتماد الوسائل اللغوية التي تربط أواصر مقطع ما، أما البنية الخارجية فتكمن في مراعاة العلاقة بين المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بالكلام"[٥].

---

(١) ينظر: المعنى وظلال المعنى، مُحَمَّد مُحَمَّد يونس علي، (١٥٥).

(٢) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٢٩٢-٢٩١).

(٣) النص والخطاب والإجراء، تمام حسان، (١٠٤).

(٤) علم لغة النص، بحيري (١٢٤)

(٥) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٠٢).

ولأهمية المخاطَب في النص القرآني فـ"إن القرآن كله قائم على رعاية حال المخاطبين فتارة يشتد وتارة يلين، تبعًا لما يقتضيه حالهم، سواء منهم مكيّهم ومدنيّهم، بدليل أنك تجد بين آيات السور المكية والمدنيّة ما هو وعد ووعيد وتسامح وتشديد، وأخذ ورد، وجذب وشد"[١].

وأشار اللغويون القدماء إلى تأثير المرسل إليه على المرسل، عند إنتاج خطابه؛ "إذ أبرزوا دوره في مستوى الخطاب اللغوي، مثل المستوى النحوي من حيث التذكير والتأنيث، وتجسيده بعلامة لغوية وهي إلصاق كاف الخطاب بأسماء الإشارة"[٢] ومن هؤلاء العلماء سيبويه بقوله: " هذا باب تخبر فيه عن النكرة بنكرة، وذلك قولك: ما كان أحد مثلك، وما كان أحد خيرًا منك، وما كان أحد مجترئا عليك، وإنما حسن الإخبار ههنا عن النكرة حيث أردت أن تنفى أن يكون في مثل حاله شيء أو فوقه، ولأن المخاطب قد يحتاج إلى أن تعلمه مثل هذا"[٣]، فالسياق هو دليل المرسل في اختيار استراتيجيته الخطابية[٤].

وذهب براون ويول إلى أن انسجام النص يأتيه لاحقًا "عند تأويل المتلقي له، وهو ليس فيه أمر سابقٌ على تأويله، ويتم توصل القارئ إلى تأويل نص الخطاب اعتمادًا على أمرين اثنين: أحدهما تجاور مكونات نص الخطاب، والثاني افتراض توفر الانسجام فيه"[٥]، فهما يذهبان بهذا الكلام إلى أن الكاتب خالي الذهن، وهذا غير صحيح.

٣-الزمان والمكان: يعدان من السياق الخارجي فهما يؤثران في سياق النص من حيث الزمان والمكان من الناحية الفكرية والاجتماعية، "وهذا ما أشار إليه المفسرون حين عرضوا للمكي والمدني، وذهبوا استنادًا إلى المكان (بأهله ومعتقداتهم) إلى تنوع الخطاب القرآني تبعًا لاختلاف حال المخاطبين بالقرآن في مكة والمدينة باعتبارهما مكانين وزمانين "[٦].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، مُحَمَّد الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م،(١/١٧٤).

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٤٧).

(٣) الكتاب، سيبويه، (١/٥٤).

(٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٤٤).

(٥) أصول تحليل الخطاب، مُحَمَّد الشاوش، (١٥٧).

(٦) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٢٩٨). وهو وجه من أوجه فهم اصطلاح المكي والمدني.

ويشمل الزمان على خاصية "التطور والحركة، وهذه الخصيصة تؤثر بشكل مباشر في التخطيط والإنتاج؛ فتطوره وعدم استقراره يحدث تحولات في السياق"[١]، فتظهر أهمية تحديد الزمان لمعرفة غرض السياق بدقة.

واقتصر الزمان والمكان على ما نزل في مكة والمدينة، فـ"معظم القصص القرآني نزل في مكة قبل الهجرة، إذ جاء ملبيًا لمقتضيات المرحلة المكية، ففيه تسلية لرسول الله ﷺ، وتثبيت لفؤاده، لما كان يلقى من أذى المشركين وتكذيبهم إياه، فضلًا عن إنذار المكذبين وتذكيرهم بمصير الأمم المكذبة، وجاء القصص القرآني على أنواع مختلفة ليناسب مقتضيات الحال[٢]، وينبغي الإشارة إلى أنه قلما يمكن تحديد سبب النزول في القصص القرآني لأن أسباب النزول "تقتصر على الأحداث التي وقعت في عهد الرسول ﷺ، ولا يُعد منها ما وقع من أحداث في العصور الماضية، ولذلك فأسباب النزول المتصلة بالقصص القرآني قليلة"[٣].

فيدخل ضمن الزمان والمكان ما يعرف بعلم أسباب النزول وهو "العلم الذي يتكفل بالكشف عن الأحداث التاريخية والوقائع التي كانت من دواعي النص القرآني"[٤] أو "ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، مبينة لحكمة أيام وقوعه"[٥]، وهو الذي يمكن المفسر من القراءة الصحيحة للنص، ثم يجعله مقاربًا لاكتشاف الدلالة، وليس المقصود بالقراءة الصحيحة تصحيح النصوص، بل المقصود: التوجيه الصحيح لدلالة الألفاظ والعبارات[٦]

وتعد سورة آل عمران "مدنية "[٧] وكان السبب في نزولها " قضية وفد نجران من بلاد اليمن، ووفد نجران هم قوم من نجران بلغهم مبعث النبيء ﷺ، وكان أهل نجران متدينين بالنصرانية، وهم من أصدق العرب تمسكًا بدين المسيح" [٨]، أما سورة مريم فهي "مكية"[٩]، ويظهر أن هذه السورة نزلت "للرد على اليهود فيما اقترفوه من القول

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٦٥).
(٢) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٢١-٣٢٠).
(٣) ينظر: الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٢١).
(٤) موجز علوم القرآن، داود العطار، مؤسسة الأعلمي، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، (٢١).
(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، مُحَمَّد الزرقاني، (١٠٦/١).
(٦) ينظر: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر أبو زيد، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، (١٠٩).
(٧) التحرير والتنوير (١٤٣/٣).
(٨) المرجع السابق، (١٤٥/٣).
(٩) المرجع السابق، (٥٧/١٦).

الشنيع في مريم وابنها، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران وقداستهم في الخير"[١]، وأما سورة الأنبياء فهي "مكية"[٢]، "مكية"[٢]، وكانت في الرد على المنكرين لهؤلاء الأنبياء، و "لما انتهى التنويه بفضل رجال من الأنبياء أعقب بالثناء بالثناء على امرأة نبيئة إشارة إلى أن أسباب الفضل غير محجورة"[٣]،أما سورة المؤمنون "مكية"[٤]، و"هذه السورة تدور آياتها حول محور تحقيق الوحدانية وإبطال الشرك ونقض قواعده، والتنويه بالإيمان وشرائعه."[٥] بما ينفي الألوهية لغير الله، أخيرًا سورة التحريم وهي "مدنية"[٦]، وسبق ذكر سياق نزولها.

٤-غرض السياق: وهو السبب من النص، فينظر " إلى العلاقة القائمة بين النص والمتلقي، أو النظر إلى الخطاب ذاته، وتحديد وظيفته التواصلية"[٧]، فيسخر النص على أساس خصائص مخاطَبة، ويرى فان ديك أنه الشرط الأدنى" لترابط القضايا التي تعبر عنها أجزاء النص، هو ارتباطها بموضوع النص أو التخاطب"[٨]، والسياق هو هو الكاشف عن موضوع النص كذلك.

فهو بذلك يبني علاقة بين كل من الطرفين، ولنجاحها لا بد من مراعاة سياق النص بواسطة العناصر المشتركة، فهي "من أبرز العناصر السياقية التي تؤثر في تحديد استراتيجية الخطاب المناسبة واختيارها، وتعد المعرفة المشتركة من العناصر المؤثرة هي الرصيد المشترك بين طرفي الخطاب"[٩].

فيحصل بذلك الموقف الاتصالي بين المتكلم والمتلقي ويتطلب التمييز بين شيئين[١٠]:

المعلومة المتشركة بين المتكلم والمتلقي والمعلومة الجديدة التي توضع الغرض أو الكلام أو القصد من الكلام.

---

(١) المرجع السابق، (٥٨/١٦).

(٢) المرجع السابق، (٥/١٧).

(٣) المرجع السابق، (١٣٧/١٧).

(٤) المرجع السابق، (٥/١٨).

(٥) التحرير والتنوير (٦/١٨).

(٦) المرجع السابق، (٣٤٣/٢٨).

(٧) التماسك النصي في القصص القرآني قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام أنموذجًا، أحمد ندا، رضا الدسوقي، (١٤٤).

(٨) لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، (٣٤).

(٩) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٤٩)

(١٠) ينظر: الدلالة والنحو، صلاح الدين صالح حسنين، (١٩٣-١٩٤)

قسم العلماء المعلومة المشتركة إلى نوعين:

معلومة داخل البنية الحملية[١] أطلقوا عليها مصطلح (Topic) أي المحور، ومعلومة خارج البنية الحملية اطلقوا عليها مصطلح (theme)، أي موضوع الحديث الخارجي.

واطلقوا على المعلومة الجديدة (Focus) وهي داخل بناء البنية الحملية.

أهمية السياق:

يعد السياق من أهم الأدوات التي تساعد في ترجيح المعاني، فـ"السياق متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما[٢]"، واختيار الآلية المناسبة للاتصال بين المخاطب والمتلقي، كما أنه يوفر،"جملة من المعطيات والمعلومات الضرورية لتأويل الخطاب، وهي معطيات لا توفرها الخصائص النحوية والمعجمية للصيغة اللغوية، ويفضي عدم الاعتداد بالسياق إلى تعطيل فهم الخطاب"[٣]، كما أنه يستدل ببعض الألفاظ على بعض كما يستدل على المعنى المعنى بما يقترن ويتصل به فيكون في ذلك بيان وإيضاح.

ويعد السياق عملًا ذهنيًا، وشدد الجرجاني على إعمال الفكر بقوله: "جدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[٤]، فإعمال الفكر أساس في نظم الخطاب؛ لأن النظم صنعة يستعان عليها بالفكرة[٥].

---

(١) البنية الحملية (Predicative structure)، هي أحد البنى الثلاث التي تمر بها الجملة في النحو الوظيفي، وتقومان على قواعد تسهام في في بنائها وهي: المعجم وقواعد تكوين المحمولات والحدود، وانطلاقًا من الفرضية التي تصنف مفردات اللغة الطبيعية إلى صنفين: مفردات أصول ومفردات مشتقة تحمل الاطر الحملة، ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، الجمعية المغربية، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، (١١-١٢)

(٢) النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي، مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، (٩٨)

(٣) أصول تحليل الخطاب، مُحَمَّد الشاوش، (١٧٨).

(٤) دلائل الإعجاز، الجرجاني، (٥٤/١).

(٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٦٣).

ويعد السياق عنصرًا للتفريق "بين الدلالة والتداول"[١]، فلا "يمكن الوصول إلى المعنى الدلالي بمجرد النظر إلى معنى (المقال) دون اعتبار (المقام)"[٢].

كما أن السياق من الطرق التي استعملها النبي ﷺ في التفسير كما في حديث: "حدثني هارون بن عبد الله، حدثنا حجاج بن مُحَمَّد، قال: قال ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: أخبرتني أم مبشر، أنها سمعت النبي ﷺ، يقول عند حفصة: «لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى، يا رسول الله فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم:٧١)، فقال النبي ﷺ: قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم:٧٢) "[٣].

كما تبرز أهمية السياق في التفريق بين معاني المشترك اللفظي وأشار إليها سيبويه: "فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة، وأشباه هذا كثير"[٤]، فوضع كل لفظة في سياق معين هو الذي يعطيها المعنى للتفريق.

وقد استعملت في القرآن ألفاظ تحمل نفس المدلول في النظرة الأولى، كما في لفظة الصوم والصيام فيظن القارئ للوهلة الأولى أنهما يصبان في ذات المعنى إلا أنه إذا أعاد نظره للسياق فسيتبين له الفرق، فلفظة الصوم في قوله تعالى: ﴿صَوْمًا﴾ (مريم:٢٦)، تعني: "صمتًا عن الكلام، أو صيامًا، وكان صيام المجتهدين في بني إسرائيل بالإمساك عن الطعام والكلام حتى يمسي، وقد نسخ في هذه الأمة؛ لأنه – ﷺ – نهى عن صوم الصمت"،

---

(١) البحث اللساني والسيميائي –الدلاليات والتداوليات أشكال الحدود–، أحمد المتوكل، (٣٠١).

(٢) ينظر: الأصول، تمام حسان، (٣٠٤).

(٣) صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الحديث رقم (٢٤٩٦)، (١٩٤٢/٤) باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان ﷺ.

(٤) الكتاب، سيبويه، (٢٤/١).

ولفظة الصوم تعني الامتناع عن الأكل والشرب[١] كما فرض في الإسلام، فالقارئ لو لم يكمل اللفظة في سياقها الخاصة لما تبين للفرق.

وكما أنه لا تقل أهميته على مستوى التراكيب فـ"لا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم"[٢].

ويرى فيندرس أن المهمة الكبرى للسياق هي منع تعدد المعاني فيقول: "إننا حين نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما، إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه سياق النص، أما المعاني الأخرى فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقاً"[٣].

كما أنه يساعد على تحديد القائل، ويسهم في التحكم في الإحالة وبيان اتجاهها" يضبط السياق حركات الإحالة بين عناصر النص، فلا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصلها بالتي قبلها أو التي بعدها داخل إطار السياق"[٤]، وتزداد أهمية السياق "في التحليل النصي عند خفاء الروابط أو غيابها[٥]"، كما أنه يساعد على التجديد من الخطاب وتنوعه، فـ"إذا كان السياق هو العالم الذي ينشأ فيه الخطاب، وكانت نشأة الخطاب متجددة متعددة بتجدد عمليات التواصل بين المتخاطبين وتعددها، فإن هذا الأمر يفضي ضرورة إلى القول بتعدد تلك العوالم على قدر يساوي تعدد عمليات التواصل"[٦].

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، (٨٩٩/٢).

(٢) النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي، مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف، (٩٨)

(٣) اللغة، فندريس، (٢٢٨).

(٤) النص القرآني ومنهج السياق، عبد الرحمن بودرع، (٢)

(٥) الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، أنس فجال، (٣٠٣).

(٦) أصول تحليل الخطاب، مُحَمَّد الشاوش، (١٦٣).

ومن أهمية السياق عدم الاقتصار على دلالة الكلمة " وقال أبو عبيد: حدثنا معاذ عن ابن عون عن عبيد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال: "إذا حدثتَ عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"[١]، وقد سبق الإشارة إلى أقوال المحدثين في أهميته للوحدة اللغوية، فإن للوحدة اللغوية "دلالات لا تنضب، ولا ينبغي استئصالها من مساقاتها والادعاء أن لها معنى رئيسًا ومعاني فرعية"[٢]، منها ما يتعلق بالدلالة على مستوى الآيات ومنها ما يتعلق بالألفاظ مفردة أو مركبة من حيث الشكل أو المعنى داخل السياق.

خامسًا: دور السياق في تماسك القصص القرآني:

يعد التماسك بواسطة السياق علاقة بين عقل المفسر والنص القرآني، لذلك تختلف من مفسر لآخر، ولم يشير إليها علماء النص الغرب نظرًا لطبيعة النص الذي قاموا بتحليله، فالنص القرآني مرتبط باللسان العربي، لأن النص القرآني نزل به، فالقارئ المتذوق "لا يجد متاع نفسه في السياق الواضح جدًا، والمكشوف إلى حد التعرية، والذي يسيء الظن بعقله وذكائه، وإنما يجد متعة نفسه حيث يتحرك حسه وينشط؛ ليستوضح ويتبين ويكشف الأسرار والمعاني وراء الإيحاءات والرموز"[٣].

فالقرآن الكريم يعتمد على ذكاء قارئه، فيحذف من الجمل ما يستطيع القارئ أن يدركه، لأن السياق يستلزمه أن يستدعيه، وكان حذفها أحسن من الإتيان بها، لأن سماعها يشغل عن تأمل ما يحتاج إلى تأمل في القصة[٤]، وهذا التماسك لا يظهر للقارئ البسيط العادي، لأنه "لا يمكن تحقيقه بكفاءة الشخص العادي، بل بكفاءة المفسر الواعي، فهو يبرز خواص التفكير الدينامي، ويستند إلى أنواع أخرى من المعارف، ويتجاوز الأبنية السطحية"[٥]، فيصل إلى المقاصد في الأبنية العميقة.

---

(١) فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م، (٣٧٧).

(٢) النص القرآني ومنهج السياق، عبد الرحمن بودراع، (١١).

(٣) خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مُحَمَّد أبو موسى، (١٥٤).

(٤) ينظر: البعد الفني للحذف في القصص القرآني، مُحَمَّد الأمين خويلد، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، الجزائر، ٢٠٠٩م، (٢).

(٥) ينظر: علم لغة النص، بحيري (١٢٣)

وتظهر أهميته في القصص القرآني في أن أجزاء القصة الواحدة قد ترد في سورة واحدة وقد ترد موزعة على السور كما في قصة مريم عليها السلام، لكن بعضها متعلق ببعض، فيجب الكشف عن سياقاتها في السور المختلفة ومعرفة أسباب النزول، ورد آخر الكلام إلى أوله، لفهم المغزى منها، وبيان إعجازها اللغوي، فالسياق في النص القصص القرآني "يجمع بين القصص وحدة دلالية، بل وحدة شكلية"[١].

فالسياق له أهمية كبرى في تفسير القرآن الكريم، وإيضاح دلالته، وبيان مجمله، يعد من أكبر العوامل المحددة للدلالة، ويعد السياق ركن من أركان الإعجاز: فهو من أعظم الدلائل التي تظهر تماسك القرآن الكريم وكأنه كلمة واحدة، ومنها قول الجرجاني: "فقيل لنا: قد سمعنا ما قلتم، فخبرونا عنهم، عن ماذا عجزوا؟ أعن معان من دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه؟ فإن قلتم: "عن الألفاظ"، فماذا أعجزهم من اللفظ، أم ما أبهرهم منه؟، فقلنا: أعجزتم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبيه، وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورةً سورةً، وعشرًا عشرًا، وآيةً آيةً، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقًا أبهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظامًا والتئامًا، وإتقانًا وإحكامًا، لم يدع في نفس بليغ منهم، ولو حك بيافوخه السماء، موضع طمع، حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول، وخذيت القروم فلم تملك أن تصول"[٢] وقول الرازي: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته"[٣].

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي الفقي، (١٧٨/٢).

(٢) دلائل الإعجاز، الجرجاني، (٣٩/١).

(٣) التفسير الكبير، الرازي، (١٠٦/٧).

من أهمية السياق في التماسك النصي عامة والقصص القرآني، خاصة لأنه من تفسير القرآن بالقرآن، ويعد السياق من القرائن التي يستدل عليها المفسر في ترجيح المتشابه، وتوجيه القراءات، وتحديد القائل مع كثرة الشخصيات في القصص والحوارات الحاصلة.

ومن أمثلة أهمية السياق في توجيه القراءات: توجيه ابن مكي للقراءة في قوله تعالى:(بما وضعَتْ) "قرأه أبو بكر وابن عامر بضم التاء، وإسكان العين، وقرأ الباقون بفتح العين، وإسكان التاء، فحجة من ضم التاء أنه جعله من كلام أم مريم، لاتصال كلامها بما بعد ذلك، وما قبله في قوله: (رب إني وضعتها أنثى)، وقولها: (وليس الذكر كالأنثى)، وقولها: (وإني سميتها مريم) وقولها: (إني أعيذها بك)، فكله من كلام أم مريم، فحمل وسط الكلام على أوله وآخره، وذلك حسن في المطابقة والمجانسة، كما تقول: ربي قد أذنبت وأنتم أعلم بذلك، على طريق التسليم والخضوع"[1].

(1) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مُحَمَّد مكي القيسي، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م،(٣٤٠).

الخاتمة

ختامًا:

له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحمد على التمام وفي كل حين، ستر النقص، وأظهر الكمال، وفي ختام هذه الدراسة أود أن أشير إلى أبرز النتائج التي ظهرت لي في هذا البحث، ويمكن إجمالها في الآتي:

- يعد التماسك النصي علمًا لم ينشأ من العدم، إنما هو نتيجة للتطور الفكري بين القديم والحديث، فبعد محاولات القدماء ووقوفهم على التحليل المنتهي بحدود الجملة، أُذن للنظرية بالكشف عن مكنونها بكونها نظرية مستقلة على أيادي علماء النص الغربيين.

- لخصت الباحثة مفهوم التماسك النصي بأنه: عملية تداولية ملازمة للنص، تعمل على تمييز النص من اللانص، وهي مجموعة من الروابط السطحية (أدوات شكلية، تمثل علاقة تبعية)، والبنية العميقة (بدون أدوات علاقات دلالية) تستنتج من القرائن، يعمل فيها المتكلم ويعقلها المتلقي بحسب علمه في المجال الذي ينتمي إليه النص، ويمكن أن يشعر بها القارئ.

- تظهر قوة التماسك النصي في قصص القرآن الكريم في القصص الموزعة على أكثر من سورة أكثر من غيرها من القصص، ومنها هذه الدراسة قصة مريم عليها السلام، فهي موزعة على خمس سور، هي: آل عمران، ومريم، والأنبياء، والمؤمنون، والتحريم، ولو جمعت المشاهد ورتبت، لظهرت متماسكةً يكمل بعضها البعض، كأنما وردتْ ضمن سورة واحدة.

- ذُكر اسم مريم -عليها السلام- صريحًا في القرآن تسعًا وثلاثين مرةً ، منها إحدى عشرة مرة قصدًا لذاتها، ومنها مرّةً واحدة بنسبتها لوالدها عمران، وثلاثًا وعشرين مرةً بنسبة المسيح عيسى ابن مريم -عليهما السلام- إليها، وعبَّر عنها بالضمير أربع مرات، وكنيت بأخت هارون مرةً واحدةً.

– تعد الإحالة من أوسع وأقوى أدوات التماسك النصي فيها بذاتها علاقة دلالية تعود على النص بالقوة، وتنشئ اتصالًا بين النص وواقعه الخارجي، وتسهم في إيجاد وتحقيق الكفاءة النصية.

– بلغت الإحالة بواسطة الضمير في قصة مريم –عليها السلام– مئة وثلاثًا وسبعين إحالةً جميعها داخلية، عدا ست عشرة إحالة خارجية أدَّت وظائف تماسكيَّة.

– بلغت الإحالة بواسطة الإشارة في قصة مريم عليها السلام خمس إحالات جميعها إشارات داخلية قبلية، جمعت رتلًا من الأقوال، وربطت أول القصة بآخرها.

– بلغت الإحالة بواسطة الموصولات في قصة مريم عليها السلام سبع إحالات موزعة على أربع سور، أسهمت في الربط والتوسيع عن طريق الوصف.

– بلغت الإحالة بواسطة تعليق شبه الجملة في قصة مريم عليها السلام تسعًا وستين إحالة، منها أربعة وخمسون جارًّا ومجرورًا، و خمسة عشر ظرف مكان أو زمان، وهو ذو أثر على المدى القريب، فلا يُسْهِم في التماسك على مستوى النصوص.

– يعد الحذف وسيلةَ تماسكٍ تظهر على البنية السطحية ويكمن غرضها في البنية العميقة، وبلغ عددها في قصة مريم عليها السلام أربعًا وأربعين مرةً تقريبًا، مراعاةً لحال المخاطَب في القرآن الكريم.

– تعد وسائل الإحالة (الضمائر، والإشارة، والموصولات) من قبيل الاستبدال، وتنوعت أمثلته في قصة مريم عليها السلام.

– يتأسس الوصل على وجودة الأداة الرابطة، ويختلف في احتياجه للمرجعية.

– احتوت قصة مريم عليها السلام على أنواع الوصل، عدا الوصل من النوع العكسي أو الاستدراكي.

– يعد التكرار سمة قرآنية، ولا يعد تكرارًا كليًا، كما تسهم وسيلة التكرار في رسم الشخصية القرآنية.

– تعد المصاحبة اللغوية من وسائل التماسك الشكلي التي لا تحتاج إلى مرجعية.

– أُجْمِلَت قصة مريم عليها السلام في كل من سورة الأنبياء والمؤمنون والتحريم، ويعود ذلك للسياق الواردة فيه.

– فُصِّلَتْ مشاهد قصة مريم عليها السلام في سورتي آل عمران، ومريم، عرضت سورة آل عمران لمشهد الولادة والنذر، وقبول الله لها، وكفالة زكريا لها عليه السلام، والتبشير بعيسى عليه السلام، وعرضت سورة مريم لمشهد الانتباذ، وحوار مريم مع جبريل عليهما السلام، والحمل والوضع، وإتيانها لقومها، وتصديقها بحديث عيسى عليه السلام.

– يظهر الإجمال والتفصيل في قصة مريم عليها السلام على مستويين، مستوى عام وهو حيز القصة من القرآن الكريم، ومستوى خاص وهو حيز القصة من السورة الواردة فيها.

– المرسل والمخاطِب في القرآن الكريم هو الله عز وجل ويقع وجوده خارج النص غالبًا، ولعل شدة تماسك النص القرآني تعود لوحدة المخاطِب.

– يعد التماسك بواسطة السياق علاقة بين المفسر والنص القرآني، وهذا سبب اختلاف التفاسير، ولم يشر إليه علماء النص الغربيون نظرًا لطبيعة النص الذي قاموا بتحليله.

– يعتمد التماسك النص في القصص القرآني على ذكاء قارئه، فتختلف بذلك نسبة تماسكه من قارئ لآخر.

– تظهر أهمية السياق بالربط بين أجزاء القصة الواحدة الموزعة على أكثر من سورة ومعرفة أسبابها ورد آخر الكلام إلى أوله.

– يعد تفسير القرآن بالقرآن، والتوجيه اللغوي للقراءات نوعًا من التماسك النصي.

وآخر دعواهم أن الحمدلله رب العالمين.

المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الاتساق النصي مفهومه وآلياته، فاتح بوزري، مجلة نصف سنوية محكمة، مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١٢م.

٣. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

٤. أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٥. اجتهادات لغوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٦. الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النصي بين القدماء والمحدثين، ميلود نزار، مجلة العلوم الإنسانية، السنة السابعة، العدد: ٤٤، ٢٠١٠م.

٧. الإحالة النصية وأثرها في تحقيق تماسك النص القرآني، عبد الحميد بوترعة، مجلة الأثر، عدد خاص: أشغال الملتقى الوطني الأول حول: اللسانيات والرواية يومي ٢٢و ٢٣ فيفري ٢٠١٢م.

٨. الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب "Cohesion in English" لـ م. أ. ك. هاليداي ورقية حسن، شريفة بلحوت، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م.

٩. الإحالة في ديوان الجزائر لسليمان العيسى –دراسة نصية–، مصطفى وماش، مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٦م.

١٠. الإحالة وأثرها في تماسك النص القرآني، أنس الفجال، نادي الأحساء الأدبي، الأحساء، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م،

١١. إحصاء العلوم، لأبي نصر الفارابي، تقديم وشرح: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٢. إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١٣. ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان مُحَمَّد، مراجعة ورمضان عبد التواب، مكتبة الخارجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ١٩٩٨م.

١٤. أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، مُحَمَّد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

١٥. استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية–، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

١٦. أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، تحقيق: بركات يوسف عبود، دار الأرقم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

١٧. الأسلوب الخبري وأثره في الاستدلال واستنباط الحكام الشرعية، مُحَمَّد بن مشبب عسيري، دار المحدثين، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

١٨. الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

١٩. أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٢٠. أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى، مُحَمَّد سالم صالح، الشاملة الذهبية.

٢١. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس (نحو النص)، مُحَمَّد الشاوش، كلية الآداب منوبة، تونس، بالاشتراك مع المؤسسة العربية للتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٢. الأصول –دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب–، تمام حسان، عالم الكتب، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٢٣. الأضداد، ابن الأنباري، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل، المكتبة العصرية، لبنان، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.

٢٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، لبنان، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.

٢٥. إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، حلب، الطبعة الخامسة، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٢٦. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.

٢٧. ألفية ابن مالك في النحو والتصريف، المسماة بالخلاصة في النحو، أبو عبد الله مُحَمَّد جمال الدين بن عبد الله بن مالك الأندلسي، تحقيق: سليمان بن عبد العزيز العيوني، دار المنهاج، الرياض.

٢٨. أمالي ابن الحاجب، جمال الدين ابن الحاجب الكردي، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، دار الجيل، بيروت،١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م.

٢٩. الأمثال في القرآن، ابن قيم الجوزية، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن مُحَمَّد، مكتبة الصحابة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

٣٠. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، المكتبة العصرية الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٣١. ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبداللطيف الزبيدي، تحقيق: طارق الجنابي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

٣٢. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني الشافعي، تحقيق: مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة.

٣٣. البحث اللساني والسيميائي، -الدلاليات والتداوليات أشكال الحدود-، أحمد المتوكل، جامعة مُحَمَّد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم (٦)، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٣٤. البحر المحيط، في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٣٥. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جمال عبدالحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٣٦. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧م.

٣٧. البعد الفني للحذف في القصص القرآني، مُحَمَّد الأمين خويلد، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، الجزائر، ٢٠٠٩م.

٣٨. بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، مُحَمَّد مشرف خضر، رسالة دكتوراه، جامعة طنطا، كلية الآداب، قسم اللغة العربية.

٣٩. البنية الدلالية والإحالية للضمائر، أشرف عبد البديع عبد الكريم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، علوم اللغة، مجلد: ٩، العدد: ٣، ٢٠٠٦م.

٤٠. البيان في روائع القرآن –دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٤١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق المرتضى الزَّبيدي، طبعة الكويت، الطبعة الثانية.

٤٢. تأويل مشكل القرآن، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان.

٤٣. التحرير والتنوير، –تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد–، ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ.

٤٤. تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، مُحَمَّد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

٤٥. تحليل الخطاب، براون ويول، ترجمة: مُحَمَّد الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

٤٦. التحليل اللغوي للنص –مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج–، كلاوس برينكر، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م.

٤٧. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبي حيان الأندلسي، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ١٩٩٨م.

٤٨. الترجيح بين دلالة السياق وسبب النزول، مُحَمَّد أبو زيد، مجلة جامعة دمشق، المجلد: ٢٨، العدد: ٣+٤- ٢٠١٢م.

٤٩. التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، مُحَمَّد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥م.

٥٠. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة العشرين، ٢٠١٣م.

٥١. التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ١٩٧٣م.

٥٢. التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، الطبعة الرابعة، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٥٣. التعريفات، علي بن مُحَمَّد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: مُحَمَّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.

٥٤. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي مُحَمَّد السلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ١٩٩٩م.

٥٥. التفسير الكبير: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مُحَمَّد الرازي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ١٩٨١م.

٥٦. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مُحَمَّد الأمين بن عبد الله الأرمي الشافعي، إشراف ومراجعة: هاشم مُحَمَّد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ٢٠٠١ م.

٥٧. التماسك النصي –دراسة تطبيقية في نهج البلاغة–، عيسى جواد الوداعي، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م.

٥٨. التماسك النصي في القصص القرآني قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام أنموذجًا، أحمد ندا، رضا الدسوقي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة المجمعة، العدد الرابع، ١٤٣٥هـ.

٥٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٦٠. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، شارك في تحقيق هذا الجزء: مُحَمَّد الخن و مُحَمَّد معتز كريم الدين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٦١. الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، عمر مُحَمَّد عمر باحاذق، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ١٩٩٣م.

٦٢. الجمل في النحو، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسس الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ١٩٨٤م.

٦٣. جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، دار الفكر، بيروت.

٦٤. جمهرة اللغة، أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٦٥. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين الخفاجي، دار صادر، بيروت.

٦٦. حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مُحَمَّد الأمين الشافعي، إشراف ومراجعة: هاشم مُحَمَّد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م.

٦٧. الحذف والتقدير في النحو العربي، د. علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ م.

٦٨. خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مُحَمَّد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٦٩. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم مطلعي، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٧٠. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

٧١. الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلة نقدية، مُحَمَّد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الخامسة، ١٩٩٤م.

٧٢. الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٧٣. الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتاب، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٧٤. دراسات قرآنية، مُحَمَّد قطب، دار الشروق، الطبعة الثامنة، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٧٥. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٧٦. دروس في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير، تعريب: صالح الفرمادي ومُحَمَّد الشاوش، ومُحَمَّد عجينة، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥م.

٧٧. دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي –دراسة موضوعية تحليلة–، أحمد لافي المطيري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الدراسات العليا، الأردن، ٢٠٠٧م.

٧٨. دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث –دراسة تحليله للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق–، عبد الفتاح البركاوي، ١٩٩١م.

٧٩. دلالة السياق، ردة الله الطلحي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ.

٨٠. الدلالة والنحو، صلاح الدين صالح حسنين، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى.

٨١. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، محمود مُحَمَّد شاكر، مطبعة المدني، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٨٢. دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن صالح الفوزان، دار المسلم، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٨٣. دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، ١٩٨٦م.

٨٤. دينامية النص، مُحَمَّد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٨٧م.

٨٥. الرد على النحاة، أحمد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد، ابن مضاء، تحقيق: مُحَمَّد إبراهيم، دار الاعتصام، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.

٨٦. الرسالة، أبو عبد الله الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ ١٩٤٠م.

٨٧. رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد المالقي، تحقيق: أحمد الخراط، طبعة مجمع اللغة.

٨٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٨٩. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ١٩٨٢م.

٩٠. السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبد الفتاح محمود، رسالة دكتوراه، الأردن، جامعة اليرموك، تفسير وعلوم القرآن، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٩١. السياق القرآني وأثره في التفسير –دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور–، مُحَمَّد عبد الوهاب الراسخ.

٩٢. السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، سعد بن مُحَمَّد بن سعد الشهراني، كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

٩٣. الشخصية في القصص القرآني –دراسة نصية نقدية تحليلة لشخوص مختاره–، خالد سليمان عيد الدولات، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٦م.

٩٤. شرح ابن عقيل، مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.

٩٥. شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن، منشورات جامعة قاريونس، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

٩٦. شرح المفصل، موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.

٩٧. شرح تسهيل الفوائد، مُحَمَّد جمال الدين بن عبد الله بن مالك الأندلسي، تحقيق: عبد الرحمن السيد و مُحَمَّد بدوي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٩٨. شرح شافية ابن الحاجب، مُحَمَّد بن الحسن الرضي الإستراباذي، تحقيق: مُحَمَّد نور الحسن و مُحَمَّد الزفزاف و مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٩٩. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري، تصحيح: مُحَمَّد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

١٠٠. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس ، الناشر: مُحَمَّد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

١٠١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.

١٠٢. صحيح البخاري، أبي عبد الله مُحَمَّد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري الجعفي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ٢٠٠٤م.

١٠٣. صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٤. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

١٠٥. العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح، ضمن الكتاب التذكاري للأستاذ عبد السلام هارون، جامعة الكويت، ١٩٩٠م.

١٠٦. العربية وعلم اللغة الحديث، مُحَمَّد مُحَمَّد داود، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٠٧. علم الدلالة إطار جديد، بالمر، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.

١٠٨. علم الدلالة، أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٨م.

١٠٩. علم الدلالة، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

١١٠. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق –دراسة تطبيقية على السور المكية–، صبحي الفقي، دار قباء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ٢٠٠٠م.

١١١. علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، الطبعة الرابعة، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.

١١٢. علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

١١٣. علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١١٤. علم لغة النص –المفاهيم والاتجاهات–، سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان والشركة المصرية العالمية للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١١٥. عود الضمير بين اللسانيات الحديثة والنحو العربي استراتيجية الإحالة، نعيمة سعدية، ٢٠٠٩ م.

١١٦. عود الضمير وأثره في التفسير –دراسة لضمير الغائب المعتمد على الهاء في حزب المفصل–، عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، رسالة دكتوراه، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، ١٤٢٩–١٤٣٠هـ.

١١٧. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١١٨. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، أبي يحيى الأنصاري، تحقيق: مُحَمَّد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

١١٩. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق وتعليق: مُحَمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، مصر، ١٩٩٧م.

١٢٠. فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.

١٢١. في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، سعد مصلوح، مجلس النشر العربي، جامعة الكويت، ٢٠٠٣م.

١٢٢. في اللسانيات ونحو النص، إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

١٢٣. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسوسي، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م.

١٢٤. قبس من نور القرآن الكريم –دراسة تحليلة موسعة بأهداف ومقاصد السور الكريمة– مُحَمَّد علي الصابوني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٢٥. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ١٩٧٥م.

١٢٦. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية -بنية الخطاب من الجملة إلى النص-، احمد المتوكل، دار الأمان، ١٩٩٨م.

١٢٧. قواعد اللهجات العربية الحديثة، كرستن بروستاد، ترجمة: مُحَمَّد الشرقاوي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

١٢٨. الكتاب، سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.

١٢٩. كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، مُحَمَّد بن علي التهانوي، تحقيق: أحمد علي بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٣٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تخريج وتعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م.

١٣١. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مُحَمَّد مكي القيسي، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

١٣٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١٣٣. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١٣٤. لسان العرب، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.

١٣٥. لسانيات التلفظ، وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، دار الأمل، الطبعة الثانية.

١٣٦. اللسانيات النشأة والتطور،أحمد مؤمن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

١٣٧. لسانيات النص، مُحَمَّد خطابي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

١٣٨. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ١٩٩٤م.

١٣٩. اللغة في الثقافة والمجتمع مع تصور مبدئى لمشروع أطلس اللهجات الإجتماعية فى مصر، محمود أبو زيد، دار غريب، ٢٠٠٧م.

١٤٠. اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

١٤١. اللغة، فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومُحَمَّد القصاص، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤م.

١٤٢. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح السامرائي دار عمار، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م.

١٤٣. اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.

١٤٤. مباحث حول نحو النص، عبد العظيم خليل، جامعة الأزهر، شبكة الألوكة.

١٤٥. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة.

١٤٦. مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحي بن زيد بن سيار الشيباني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٦٠م.

١٤٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.

١٤٨. مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ترجمة: فالح العجمي، جامعة الملك سعود، سلسلة اللغويات الجرمانية، الكتاب رقم (١١٥)، ١٤١٩هـ.

١٤٩. مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، زستيلاف واورزنياك، ترجمة سعيد بحيري، مؤسسة المختار، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.

١٥٠. مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفانج دريسلر)، ترجمة إلهام أبو غزالة وعلي خليل، مطبعة دار الكتاب، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ١٩٩٢م.

١٥١. المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين بن عقيل، تحقيق: مُحَمَّد كامل بركات، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

١٥٢. المستصفى، أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطوسي، تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

١٥٣. المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض حمد القوزي، عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

١٥٤. المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب-دراسة معجمية-، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

١٥٥. معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومُحَمَّد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى.

١٥٦. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م.

١٥٧. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

١٥٨. معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مُحَمَّد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠١١م.

١٥٩. معرفة اللغة، جورج يول، ترجمة: محمود فرج عبد الحافظ، دار الوفاء، الاسكندرية، ١٩٩٥م.

١٦٠. المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، مُحَمَّد مُحَمَّد يونس علي، دار المدار الإسلامي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

١٦١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومُحَمَّد علي حمد الله، دار الفكر، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

١٦٢. مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٦٣. المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن مُحَمَّد الراغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز.

١٦٤. المفصل في علم العربية، أبي القاسم محمود عمر الزمخشري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار عمار، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

١٦٥. مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر أبو زيد، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

١٦٦. مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٥٢٧هـ ٢٠٠٦م.

١٦٧. المقام في العربية في ضوء البراغماتية النظرية والتطبيق، منال مُحَمَّد هشام، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٤م.

١٦٨. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٦٩. المقتضب، أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد المبرد، تحقيق: مُحَمَّد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

١٧٠. من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، نهضة مصر، ٢٠٠٥م.

١٧١. مناهج البحث في اللغة والأدب، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية.

١٧٢. مناهل العرفان في علوم القرآن، مُحَمَّد الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

١٧٣. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو مُحَمَّد القاسم السجلماني، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ١٩٨٠م.

١٧٤. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: مُحَمَّد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة.

١٧٥. موجز علوم القرآن، داود العطار، مؤسسة الأعلمي، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

١٧٦. موسوعة الأعمال الكاملة الإمام مُحَمَّد الخضر حسين، جمع وضبط: علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ٢٠١٠م

١٧٧. ميزان الأصول في نتائج العقول، علاء الدين السمرقندي، تحقيق: مُحَمَّد زكي عبد البر، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ١٩٨٤ م.

١٧٨. نتائج الفكر في النحو، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

١٧٩. نحو آجرومية للنص الشعري –دراسة في قصيدة جاهلية–، سعد مصلوح، فصول، مصر، المجلد: ١٠، العدد: ١-٢، ١٩٩١م.

١٨٠. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٨١. نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عمر أبو خرمة، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

١٨٢. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.

١٨٣. النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي، مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

١٨٤. نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

١٨٥. النص القرآني ومنهج السياق، عبد الرحمن بو دراع، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية، ٢٠١٤م.

١٨٦. النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، مُحَمَّد عبدالباسط، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

١٨٧. النص والخطاب والإجراء، ربورت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

١٨٨. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر ومكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٨٩. نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ٢٠٠٧م.

١٩٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠٤هـ١٩٨٤م.

١٩١. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١٩٢. الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، الجمعية المغربية، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

Abstract

Research title : Textual coherence in Quranic stories The story of Mary, peace be upon her as a model.

Name of researcher : MARYAM BNT ABDULAZIZ IBN AHMED AL-RUWAILI AL-ANZI.

Research subject: The research dealt with textual coherence in its cohesion and coherence parts in the story of Mary, peace be upon her, in the Holy Qur'an.

Research plan: introduction : It includes a presentation on the topic, its importance, questions, objectives, research methodology and its divisions.

the preface: The research includes an adjustment to the terms of textual cohesion and presenting the concept of the Qur'anic story and its most prominent characteristics and elements.

-**the first topic** : tackled cohesion It contains two requirements.

the first requirement: reference With its divisions and methods.

the second requirement :ellipsis.

the third requirement: substitution.

the fourth requirement: junction.

the fifth requirement: reiteration.

the sixth requirement: collocation linguistic.

–the second topic: tackled cohesion and coherence It contains two requirements.

the first requirement: aggregate and detailing.

the second requirement: context.

-**the conclusion** included the most important results.

-**Research Summary**.